الفصل الثالث

# قصة إسلام
# عَمْرِو بن العاص رضي الله عنه

# من أبطال الإسلام
# قصة إسلام عمرو بن العاص
# رضي الله عنه

## ١٢
## عَمْرُو بنُ العاص فاتحُ مصر

(عَمْرُو بنُ العاص) البطلُ المغوار، فاتحُ مصر، هو أحد أبطال المسلمين ودهاتهم، أسلم رضي اللَّه عنه، ودافع عن الإسلام بشجاعته وبأقصى طاقته، وحمل راية التوحيد، بعد أن كان يحمل راية الكفر، فما كان أحدٌ أبغضَ إليه من رسول اللَّه ﷺ، ولو تمكَّن منه لقَتَله بنفسه، ولمَّا شرح اللَّه صدره للإسلام، ما كان أحدٌ أحبَّ إليه من رسول اللَّه ﷺ ـ كما ستأتي قصته ـ وهو في سياقة الموت يحدِّثُ بها عن نفسه ـ!!

أسلم (عَمْرو) و(خالدُ بنُ الوليد) في وقتٍ واحد، وذلك قبل (فتح مكة) بمدة يسيرة، وسُرَّ الرسولُ ﷺ بالغ السرور لإسلامهما، لما تميَّز كلٌّ منهما به من الشجاعة، والدهاء، والكفاح عن دين اللَّه، حتى عزَّ الإسلام والمسلمون بإسلامهما، وانتشر دينُ اللَّه في الأقطار والبقاع.

### إرسال قريش إلى النجاشي لطلب المهاجرين

يروي لنا (عمرُو بنُ العاص) كيف استنار قلبُه بنور الإسلام، ودخل في دين محمد ﷺ فيقول:

(لمَّا انصرفنا من غزوة الأحزاب يوم الخندق، جمعتُ رجالاً من قريش فقلتُ لهم: واللَّهِ إني لأرى أن أمر محمد، يعلو علواً منكراً ـ أي بسرعةٍ فائقة ـ فإن رأيتم أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا، كنَّا نحن في أمانٍ عند صاحبنا، وإن ظهر قومُنا على محمد، فلن يأتينا منهم إلا خير، ولأَنْ نكون تحت يدي النجاشي، أحبُّ إلينا أن نكون تحت يديْ محمد.!

فقالوا: واللّهِ هذا هو الرأيُ. ! واتفقوا على الخروج إلى النجاشي، وكان أن قد صادف وصولُ المهاجرين الأوائل إلى الحبشة، فيهم (عثمانُ بن عفان) و(جعفرُ بنُ أبي طالب) وهم قرابة عشرة أشخاص، فيهم بعضُ النسوة من المهاجرين.

ورأت قريش أن ترسل إلى النجاشي، تطلب منه أن يردَّ المهاجرين، فبعثت وفداً بقيادة (عمرو بن العاص).

## هدايا المشركين للنجاشي ملكِ الحَبَشة

تقول (أمُ سلمة): لمَّا نزلنا أرضَ الحبشة، جاوَرْنا فيها خيرَ جار (النجاشي) أمِنَّا على ديننا، وعبدنا اللّهَ تعالى، لا نُؤذى، ولا نسمع مكروهاً، فلما بعثت قريش (عمروَ بن العاص) و(عبدَ اللّه بنَ ربيعة) أرسلوا معهما هدايا ثمينة إلى النجاشي، فلما دخلا على النجاشي، قدَّما له الهدايا، فقبلها منهما.

ثم كلّماه فقالا له: أيها الملِكُ إنه قد لجأ إلى بلدك غلمانٌ سفهاء، فارقوا دِينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك أشراف قومهم، من آبائهم وإخوانهم وعشيرتهم، لتردَّهم إليهم، فهم أعلم بهم، وبما جاءوا به من الفساد والإفساد.

## غضبُ النجاشي على طلب قريش

ولمّا سمع النجاشي هذا الكلام غضب، وقال: لا واللّهِ، لا أردُّهم إليهم ولا أُسلمهم لأحد. ! قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، كيف أطردهم وأردُّهم إلى بلادهم؟ سأدعوهم وأسألهم عما يقول هؤلاء!

قالت: فأرسل إلى المهاجرين فدعاهم إليه، فلما دخلوا عليه ـ كان حوله الأساقفة والرهبان، وقد نشروا أناجيلهم ـ فقال لهم النجاشي: ما هذا الدينُ الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين قومكم؟

## جعفر بن أبي طالب المتكلم عن المهاجرين

• كان المتكلّم عن المهاجرين هو (جعفرُ بنُ أبي طالب) رضي اللّه عنه، تقدَّم وقال له: أيها الملك: (إنَّا كنَّا قوماً أهلَ جاهلية، نعبدُ الأصنامَ، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحِشَ، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوارَ، ويأكلُ القويُّ منّا الضعيفَ، فكنَّا على ذلك مدةً طويلة من الزمن. !

• ثم بعث اللّهُ إلينا رسولاً منّا، نعرف نَسَبه وصدقَهُ، وأمانتَهُ وعفافَه، فدعانا

إلى اللَّه وإلى توحيده، وأن نخلع ما كنا نعبد من دون اللَّه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماءِ، ونهانا عن الفواحش، وأكل مال اليتيم، وقذف المُحْصنات.

● **وأمرنا أن نعبدَ اللَّه ولا نشرك به شيئاً**، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام فصدَّقناه وآمنَّا به، واتَّبعناه على ما جاءنا به من عند اللَّه!!

فَعَدا علينا قومنا ـ أي اعتدوا علينا ظلماً ـ فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحلَّ ما كنا نستحلُّه من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا، وضيَّقوا علينا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواكَ، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملِكُ!!

## النجاشي يتأثر بالقرآن ويبكي مع القسس

● **كان (جعفر) يتكلَّم و(النجاشي) يسمع ويُصغي إلى كلامه**، فلما انتهى، قال له النجاشي: هل معك ممَّا جاءكم به من عند اللَّه شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقرأ عليه أول الآيات من (سورة مريم)!!

**فبكى النجاشي حتى ابتلَّتْ لحيتُه بالدموع، وبكى القُسُسُ والأساقفة، حين سمعوا ما تلا عليهم.**

**ثم قال لهم النجاشي**: إن هذا وما جاء به (عيسى) ليخرج من مِشْكاةٍ واحدة ـ أي من نافِذةٍ ومصدرٍ واحد ـ يريد أنه من الوحي الإلٰهي، لا من كلام البشر.!

## ردُّ النجاشي على مبعوثي قريش

● **ثم قال لعمرو بنِ العاص، وابنِ أبي ربيعة**: انطلقا، فواللَّهِ لا أُسْلِمهم إليكما، وهم في جواري وبلدي، لا يمسُّهم سوء.!

فلما خرجا من عنده قال (عَمْرُو بنُ العاص): واللَّهِ لآتينَّه غداً بما يستأصل به خَضْرَاءهم ـ أي بأمرٍ خطير يدمِّرهم ويفنيهم ـ أُخْبِره بأنهم يقولون عن (عيسى) إنه عبد!

● **فعاد إلى الملِك في اليوم الثاني** فقال له: أيها الملِكُ، إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فاحشاً، فأرسلْ إليهم فاسألهم عمَّا يقولون فيه!؟

فأرسل النجاشي إليهم، فلمَّا دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في (عيسى ابن مريم)؟ فقال له جعفر: نقول فيه ما قاله ربنا، وما جاءنا به نبينا محمد ﷺ، نقول: هو عبدُ اللَّهِ، ورسولُه، وروحُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم البتول العذراء.!

● فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال لمن حوله: واللَّهِ ما زاد على ما جاء به عيسى، ممَّا قال على هذا العودِ!!

## تأمينه للمهاجرين في أرض الحبشة

ثم قال للمسلمين المهاجرين: اذهبوا فأنتم آمنون، من سبَّكم غَرِم، من سبَّكم غَرِم - أي عاقبتُه غرامة ماليةٍ والحبس - ما أحبُّ أن لي جبلاً من ذهب، وأني آذيتُ رجلاً منهم، ردُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة بهما!! فخرجا من عنده مقبوحَيْن، ولم يصلا إلى غرضهما[1].

● هذا ما كان من أمر (عمرو بن العاص) قبل أن يسلم، أراد أن يطفئ نور اللَّه، بكل ما أُوتي من قوة، ثم هداه اللَّه إلى الإسلام، فصار مشعل نور، وحامل رسالة، وهكذا كان حالُ كثير من الصحابة قبل إسلامهم، ثم تحولت أحوالهم، فصاروا منارات هدى وإصلاح، وحملة راية الإيمان والتوحيد.!

❊ ❊ ❊

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص٨٣ - ٨٥.

# قصة إسلام (عَمرِو بنِ العاص) كما في صحيح مسلم

لقد بايع (عَمْرُو بن العاص) رسول اللَّه ﷺ على الإسلام، واعتنق الإسلامَ بعد شروطٍ شَرَطها على رسول اللَّه ﷺ، ولنستمع إلى قصة إسلامه، وهو يحدِّث عنها، عندما حضرته الوفاةُ، وفي هذه القصة عظاتٌ وعبر، كيف تحوَّلتْ حالُه من الشقاء إلى النعيم، ومن الكيد والبغض الشديد لرسول اللَّه ﷺ، إلى المحبة المفرطة التي تفوق التصور والخيال!.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن شَماسة أنه قال: (حضرنا عَمْروَ بنَ العاص) رضي اللَّه عنه وهو في سياقة الموت ـ أي وقت دنوِّ وفاته ـ فبكى طويلاً، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنُه يواسيه يقول: يا أبَتَاه، أَمَا بشَّرك رسولُ اللَّه ﷺ بكذا؟ أَمَا بشَّرك بكذا؟ ـ يريد بشارته بالجنة والنجاة من العذاب ـ قال: فأقبل علينا بوجهه فقال: إنَّ أفضلَ ما نُعدُّ ـ أي أفضلَ ما نتَّخذه ذخراً لآخرتنا في مثل هذا الموقف ـ (شهادةُ أن لا إله إلَّا اللَّه، وأنَّ محمداً رسول اللَّه)!!

## الأدوار التي تقلَّب فيها عمرُو بن العاص

ثم يتابع فيقول: إني كنتُ على أطباقٍ ثلاث:

ـ أي على أحوالٍ ثلاثة مرَّتْ عليَّ في حياتي ـ:

١ ـ لقد رأيتُني وما أحدٌ أشَدَّ بُغضاً لرسولِ اللَّهِ ﷺ منِّي، ولا أحبَّ إليَّ من أن أكون قد استمكنتُ منه ـ أي ظفرتُ به ـ فقتلْتُه!!

فلو مُتُّ على تلك الحالة، لكنتُ من أهل النار!

٢ ـ فلمَّا جعل اللَّه الإسلامَ في قلبي ـ أي شرح صدري للإسلام ـ أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت له: ابسطْ يمينك فلأُبايعك!!

فَبَسط ﷺ يمينه فقبضتُ يدي!!

فقال: ما لَكَ يا عَمْرُو؟ ـ أي لماذا قبضتَ يدك؟ هل عدلتَ عن البيعة؟

**قلت: يا رسولَ اللَّه،** أردتُ أن أشترط!! قال: ماذا تشترط؟ قلتُ: أن يُغفر لي - أي تُمحى عني جميع ذنوبي، وما اقترفتُه ضدَّ المسلمين!!

قال: أَمَا علمتَ أن الإسلامَ يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرةَ تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله؟!

## إجلالُ عمرٍو للرسول ﷺ هيبةً له

**يقول رضي اللَّه عنه:** وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول اللَّه ﷺ!! ولا أجلَّ في عيني منه!! وما كنتُ أُطيقُ أن أملأ عينيَّ منه، إجلالاً له!! - أي من هيبته ﷺ - ولو سُئلتُ أن أصِفَه ما أطقتُ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه، ولو مُتُّ على تلك الحال، لرجوتُ أن أكون من أهل الجنة!!

٣ - ثم وَلِينَا أشياءَ ما أدري ما حالي فيها؟ - أي تولينا مناصبَ وأصبحنا أمراء على المسلمين، ولا أدري هل أحسنَّا أم أسأنا معهم - فإذا أنا مُتُّ، فلا تَصْحَبنِّي نائحةٌ، ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ الترابَ شَنًّا - أي رشُّوا على قبري التراب وصبُّوه قليلاً قليلاً - ثم أقيموا حولَ قبري، قَدْر ما تُنحرُ جزورٌ - أي ناقةٌ أو جمل - ويُقْسم لحمُها، حتى أستأنسَ بكم، وأنظرَ ماذا أُراجعُ به رسلَ ربّي[1] رواه مسلم.

**هذه هي المراحل التي مرّت على حياةِ الصحابي (عمرو بن العاص).**

## الفوائد المستخرجة من رواية مسلم

**وهذا الحديث الشريف، فيه فوائد جليلة، ولطائف دقيقة، نذكر بعضها:**

**أولاً:** بيانُ منزلةِ الهجرة، والإسلام، والحج، وأنها تهدم الذنوبَ.

**ثانياً:** استحبابُ تنبيه المحتَضَر على إحسان ظنه باللَّه لحديث: (أنا عند حُسْنِ ظَنِّ عبدي بي).

**ثالثاً:** فيه تعظيمُ الصحابة وإجلالُهم لرسول اللَّه ﷺ حتى ما كانوا يُحْدِقون به البصر.

**رابعاً:** استحباب صبِّ التراب على القبر، قليلاً قليلاً عند الانتهاء من دفنه.

**خامساً:** وفيه إثباتُ فتنة القبر، وسؤالُ الملكَيْن له، كما تواترت به الأحاديثُ والأخبار.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، وانظره في شرح رياض الصالحين لخادم الكتاب والسنة ص ٢٨٥.

سادساً: استحبابُ مكث الناس عند القبر بعد الدفن ليستأنس بهم الميت.

سابعاً: وفي الحديث أن الميت يسمع كلامَ المشيِّعين له، ويُحسُّ بوجودهم، ويأنس بهم، كما ورد في الصحيحين: (إن الميت إذا وُضع في قبره، وتولَّى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم) رواه البخاري انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، فقد ذكر هذه الفوائد عند هذا الحديث الشريف.

* * *

# قصة إسلام أبي هريرة رضي الله عنه

## ١٣

### اشتهارُه بحفظ الحديث وروايته

الصحابيُ الجليل (أبو هريرة) علَمٌ لامع، ونجمٌ ساطع، اشتهر برواية الحديث الشريف، عن رسول اللَّه ﷺ، وهو حافظُ الصحابة، ومكثِرُهم في الروايةِ، قال عنه الإمام الشافعي: أحفظُ من رَوَى الحديثَ في دَهْره (أبو هريرةَ) كان فقيهاً مفتياً، ومحدّثاً ورعاً.

أسلم في السنة السابعة من الهجرة، عام خيبر، وتُوفي بالمدينة المنورة سنة /٥٧/ هجرية، ودُفن بالبقيع، وقبره معروف ومشهور حتى الآن.

اسمه الحقيقي (عبد الرحمن بن صَخْر الدَّوْسي) وكنيتُه (أبو هريرة) كنَّاه بها النبيُّ ﷺ، وأحياناً كان يقول له ﷺ: (أبَا هِرٍّ) كما في حديث مشهور، يقول فيه: (لقيني رسول اللَّه وأنا جُنُب، فمشيتُ معه، ثم انسللت فاغتسلتُ، ثم جئته فقال لي: أين كنت يا أبا هِرٍّ؟

وسبب هذه الكنية، أنه كان يحتضن هِرَّة، يضعها تحت كمِّه يتسلَّى بها، و(هُريرة) تصغير هِرَّة، فمن هنا اشتهر بكنيته أكثر من اسمه رضي اللَّه عنه.

### حرصه رضي اللَّه عنه على الحديث وحفظه له

شهد له الرسول ﷺ، بالحِرْص على الحديث، وحفظه وتبليغه للناس، كما في الحديث التالي:

روى البخاري في صحيحه أنَّ أبا هريرة سألَ النبيَّ ﷺ فقال: (يا رسولَ اللَّه، من أسْعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له الرسولُ الكريمُ: لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منك ـ أي قبلك ـ لِمَا رأيتُ

من حرصك على الحديث!! أسْعَدُ النَّاس بشفاعتي يوم القيامة: من قال: (لا إلهَ إلَّا اللَّهُ خالصاً من قَلْبه)[١].

## سببُ إكثاره من رواية الحديث

ومن ناحيةٍ أخرى، فإن إكثار أبي هريرةَ للحديث، هو أنه لم يكن له شغلٌ في الأسواق، ولا تجارةٌ يحرص على تنميتها، ولا عملٌ يشغله عن مدارسة العلم، بل تفرَّغ عن كل مشاغل الحياة، ليقتبس من (مشكاة النبوة) ما ينير به الطريقَ للسَّالكين.!

ولهذا نجد أبا هريرة يصرّح بالسبب، فيقول كما ذكره البخاري عنه (إن الناسَ يقولون أكثرَ أبو هريرة ـ أي أكثرَ من رواية الأحاديث ـ ولولا آيتان في كتاب اللَّه تعالى ما حدَّثتُ حديثاً، ثم يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

ثم قال أبو هريرة: إن إخواننا من الأنصار، كان يشغلهم العملُ في أموالهم، وإن أبا هُريرَة كان يلزمُ رسول اللَّه ﷺ بشِبَعِ بطنه، فيَحْضُر ما لا يَحْضُرون، ويحفظ ما لا يَحْفظون)[٢].

## دعاء النبي ﷺ له لتثبيت الحفظ

ومن عناية النبي ﷺ بأبي هريرة، دعاؤه له بتثبيت الحفظ في قلبه، وإكرامُه بخصوصيةٍ لم ينلها غيرُه، وهي أن الرسول ﷺ، أمَره ذاتَ يوم أن يبسط رداءه، ليكون مستودعاً لما يسمعه من رسول اللَّه ﷺ.

فقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

(قلتُ: يا رسولَ اللَّه إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه، فقال لي النبيُّ ﷺ: ابْسُطْ رداءَكَ يا أبا هريرة!! فبسطتُه، قال: فغَرَف بيديه فوضعه فيه، ثم قال لي: ضُمَّهُ، فضمَمْتُه، فما نسيتُ شيئاً بعده)[٣].

وكما خصّه الرسول ﷺ بتكريمه بالغرف بيديه الشريفتين على الرِّداء، ليثبتَ

(١) الحديث أخرجه البخاري ١/ ٣٠ من كتاب العلم، باب (الحرص على الحديث).

(٢) الحديث رواه البخاري ١/ ٣٤ باب (حفظ العلم).

(٣) الحديث من رواية البخاري في كتاب العلم ١/ ٣٤.

الحفظُ في صدره، كذلك خصَّه بأحاديثَ تتعلَّق ببعض الأحداث والفتن، وبذكر بعض المنافقين الزائغين عن طريق الهداية، وأمرَه أن لا يُحدِّث بها النَّاسَ خشية الفتنة، ولهذا كان (أبو هريرة) يقول: (حفظتُ من رسولِ اللَّه ﷺ وِعَاءَيْن ـ يعني من أحاديثه الشريفة ـ فأمَّا أحدهُما فبثثتُه ـ أي نشرتُه وحدَّثتُ به الناسَ ـ وأمَّا الآخرُ فلو بَثَثْتُه لقُطِع منِّي هذا الحُلْقُومُ)[1]!!

## معجزةُ دعاءِ الرسول ﷺ لأمِّ أبي هريرة

وفي قصة إسلام أمِّ (أبي هريرة) حديث عجيبٌ وغريب، وفيه معجزة ظاهرة لسيدنا رسول اللَّه ﷺ، في سرعة استجابة دعائه، وإليكم هذه القصة، كما رواها لنا أبو هريرة رضي اللَّه عنه بنفسه حيث قال:

(كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها ذات يوم إلى الإسلام، فأسمعتني في رسول اللَّه ﷺ ما أكرهُ ـ أي سبَّت الرسولَ ونالت منه ـ!!

قال: فذهبتُ إلى الرسول ﷺ، وأنا أبكي من شدة الحزن والألم!!

فقال لي ﷺ: ما لكَ يا أبا هريرة؟ لِمَ تبكي يا أبا هريرة؟ فقلت له: يا رسول اللَّه، كنتُ أدعو أمِّي إلى الإسلام، فتأبى أن تدخل فيه، فدعوتُها اليوم إلى الإسلام، فأسمعتني فيكَ ما أكره، فهذا الذي أبكاني!! فادعُ اللَّهَ أن يهديَ قلبها للإسلام، لعلَّ اللَّهَ يكرمها بدعوتك للدخول فيه!!

قال: فرفع النبيُّ ﷺ يديه ودعا ربه، فقال: اللهمَّ اهْدِ قلبَ أم أبي هريرة للإسلام، واشرح صدرها له!!

## استبشاره بدعوة الرسول ﷺ

يقول أبو هريرة: فاستبشرتُ بدعوةِ الرسول ﷺ، وقلتُ في نفسي: لعلَّها بعد شهور تدخل في الإسلام، ببركة دعاء الرسول لها!!

وجلستُ عند رسول اللَّه قليلاً، ثم رجعتُ إلى البيت، فلمَّا أردتُ الدخول، قالت لي أمي: على رِسْلكِ يا أبا هريرة ـ أي تمهَّلْ ولا تُسرعْ في الدخول ـ قال: وسمعتُ خَشْخَشَةَ الماء ـ أي صوتَ الماء يُسكب ـ فقد كانت تغتسل، فانتظرتُ، فلمَّا انتهتْ من غُسْلها، فتحتْ لي البابَ، ثم قالت قبل أن أكلِّمها بشيء: (أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللَّهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللَّه)!!

---

(١) البخاري ١/ ٣٤ كتاب العلم.

قال أبو هريرة: فرجعتُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ ولم أدخل البيتَ، وأنا أبكي من شدَّة الفرح!!

## سرعة استجابة دعوة الرسول ﷺ

فقال لي الرسول ﷺ: ما لَكَ يا أبا هريرة؟ لِمَ تبكي؟ قلت: يا رسول اللَّه، أَبْشِرْ فقد استجاب اللَّه دعاءَك، وهدى قلبَ أمِّ أبي هريرة للإسلام.!

فحمد اللَّهَ وأثنى عليه، وجلستُ بين يديه فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، ادْعُ اللَّهَ أن يُحبِّبني أنا وأمِّي إلى المسلمين، وأن يُحَبِّبَ المسلمين إلينا!

فقال ﷺ: (اللهمَّ حبِّبْ أبا هريرةَ وأمَّه إلى المسلمين، وحبِّب المسلمين إليهما).!

يقول أبو هريرة: فما رآني مسلمٌ، ولا سمع بي، إلَّا أحبَّني أنا وأمي)[1].

يريد أنه تحقَّق له ذلك ببركة دعاء النبي ﷺ، اللهم ارزقنا محبَّته ومحبَّةَ أمه!!

هذه القصة تدلُّ دلالة ساطعة، على صدق نبوَّة الرسول ﷺ، وهي إحدى معجزاته في سرعة استجابة الدعاء، حيث استجاب اللَّهُ دعاءه، وحقَّق مراده دون تأخير.

لقد كانت أمه ترفض الدخولَ في الإسلام، ووصل بها بُغْضُ الدِّين، إلى النيل من رسول اللَّه ﷺ، بالطعن والمسبَّة، وإذا بها تعتنقُ الإسلام بكل حبّ ورحابة صدر!

## ما تحمَّله أبو هريرة من الشدائد في طلب العلم

هذا الصحابيُّ الجليل (أبو هريرة) رضي اللَّه عنه، تفرَّغ لطلب العلم، وتحمَّلَ الجوعَ والشدَّةَ، ابتغاء مرضاة اللَّه، آثَرَ حفظَ سنن رسول اللَّه وهديه الشريف على جميع متاع الدنيا، وكان رضي اللَّه عنه يقول: (نشأتُ يتيماً، وهاجرتُ مسكيناً، وكنتُ أجيراً لإحدى النساء، بطعام بطني، وعُقبة رجلي ـ أي أسوق الإبل ماشياً ـ فكنتُ أخدمُ إذا نزلوا، وأحدو إذا ركبوا، فزوَّجني اللَّهُ بِبُسْرةَ ابنة غزوان، فالحمد للَّه الذي جعل الدين قِواماً ـ أي عدلاً لا ضيم فيه ـ وجعل أبا هريرةَ إماماً)[2].

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري

(٢) أخرجه أبو نُعيم في الحلية ١/ ٣٧٨ وابن سعد ٤/ ٥٣ وانظر حياة الصحابة ١/ ٢٦١.

أخرج البخاري عن ابن سيرين أنه قال: (كنَّا عند أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وعليه ثوبان ممشَّقان ـ أي مزيَّنان ـ من الكُتَّان، فقال: بَخ بَخ ـ كلمةُ تعجُّب واستغراب ـ يمتخط أبو هريرة في الكُتَّان، لقد رأيتُني وإنِّي لأخرُّ فيما بين منبرِ رسول اللَّه ﷺ وحُجرة عائشة مغشيًّا عليَّ، فيجيءُ الجائي فيضع رجله على عُنقي، يظنُّ أنَّ بي الجنون، وما هو إلَّا الجوعُ)[1].

## معجزة أخرى لرسول اللَّه ﷺ في قصة أبي هريرة

ومن غرائب وعجائب القصص، ما حدَّث به أبو هريرة رضي اللَّه عنه من كفاية قَدَح من اللَّبن ـ الحليب ـ لأهل الصُّفَّة ـ وكانوا زُهَاءَ سبعين رجلاً ـ وهذه إحدى معجزاته ﷺ، يروي لنا أبو هريرة هذه القصة فيقول:

(واللَّه الذي لا إله إلَّا هو، لقد كنت أعتمد بكبدي على الأرض ـ أي ألصق كبدي بالأرض ـ من الجوع، وكنت أشدُّ الحَجَر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريق المسلمين، فمرَّ عليَّ (أبو بكر) رضي اللَّه عنه، فسألتُه عن آيةٍ من كتاب اللَّه تعالى، وواللَّهِ ما سألتُه إلَّا ليستتبعني إلى بيته ـ أي يأخذني معه إلى بيته فيطعمني ـ من شدَّة الجوع الذي حلَّ بي ـ فلم يَفْطَنْ إلى الغَرَض من سؤالي، ولم يفعلْ ما كنتُ أريده، فمرَّ عليَّ (عمرُ) رضي اللَّهُ عنه، فسألتُه عن آيةٍ من كتاب اللَّه، ما سألتُه إلَّا ليدعوني إلى بيته فيطعمني، فلم يَفْطنْ إلى غرضي.!

فمرَّ عليَّ أبو القاسم محمد ﷺ، فعرفَ ما في وجهي، وما في نفسي، فقال لي: أبا هُريرة، قلتُ له: لبيك يا رسول اللَّه!!

## قدحٌ من اللَّبن يكفي أهل الصُّفَّة

فقال: الْحَقْ بي، فلحقتُه فدخل البيتَ، فوجد لبناً في قَدَح ـ كوب من الحليب واسع ـ فقال: من أين لكم هذا اللَّبن؟

فقالوا: أهداه لنا فلانٌ أو آل فُلان.!

فقال لي صلوات اللَّه عليه: أبا هرّ.! قلتُ: لبَّيك يا رسول اللَّه!!

قال: انطلقْ إلى أهل الصُّفَّة فادعُهم لي.!

قال أبو هريرة: وأهلُ الصُّفَّة أضيافُ الإسلام، لم يأووا إلى أهلٍ ولا مال ـ

(١) رواه البخاري وانظر كتاب حياة الصحابة ١/ ٢٦١.

أي ليس لهم قرابة ولا مالٌ ينفقونه على أنفسهم ـ إذا جاءت للرسولِ ﷺ هديةٌ أصابَ منها، وبعثَ منها إليهم، وإذا جاءت الصَّدقةُ بعث بها إليهم، ولم يُصبْ منها شيئاً.

قال: وأحزنني ذلك، فقد كنت أرجو أن أُصيب من اللَّبن ـ الحليب ـ شربةً أتقوّى بها، وأدفع بها الجوعَ عنّي، يومي وليلتي، وقلتُ في نفسي: إذا جاء أهلُ الصُّفة، كنت أنا الذي سأُعطيهم، فماذا يبقى لي من هذا اللَّبن؟

يقول أبو هريرة: ولم يكن من طاعة اللَّه، وطاعة رسوله بُدٌّ، فانطلقتُ فدعوتُهم، فأقبلوا جميعاً فاستأذنوا فأذِن لهم ﷺ، فأخذوا مجالسهم من البيت!!

فقال لي ﷺ: أبا هِرّ، خذْ فأعطهم اللبن ليشربوا منه، فأخذتُ القَدَح فجعلتُ أُعطيهم، فيأخذُ الواحدُ منهم اللَّبن، فيشرب منه حتى يَرْوى ـ أي يشبع ـ ثم يردُّ إليَّ القَدَح، حتى أتيتُ على آخرهم، ودفعته إلى رسول اللَّه ﷺ، فأخذه فوضعه في يده، وبقي فيه فضلةٌ من اللبن.!

ثم رفع ﷺ رأسه ونظر إليّ وتبسّم، ثم قال لي: أبا هِرّ، قلتُ: لبيك يا رسولَ اللَّه، قال: بقيتُ أنا وأنتَ! فقلت: صدقتَ يا رسول اللَّه، قال: فاقعدْ فاشربْ، قال: فقعدتُ فشربتُ! ثم قال لي: اشربْ، فشربتُ، فما زال يقول لي: اشربْ فأشربُ، حتى قلت: يا رسول اللَّه، والذي بعثَكَ بالحقِّ لا أجد له مسلكاً!! ـ أي ما عدتُ أجد له مكاناً في بطني ـ فقال: ناولني القَدَح، فناولتُه إيَّاه فشرب من الفضلة)[1] صلواتُ ربي وسلامه عليه، أفليست هذه إحدى معجزاته عليه أفضل الصلاة والتسليم!؟

## قَدَحٌ يكفي سبعين رجلاً

هذه المعجزة حدثت لأبي هريرة مع أهل الصُّفَّة، قدحٌ من الحليب لا يُشبع إلَّا شخصاً أو شخصين على أكثر تقدير، كان يتشوَّق أبو هريرة أن يشربه كلَّه، ليدفع عنه ألمَ الجوع، يشرب منه أهلُ الصُّفَّة، وهم قرابةُ (٧٠) سبعين رجلاً، كلُّهم يشرب حتى يَرْوَى ويشبع، ثم يشرب منه رسولُ اللَّه ﷺ وأبو هريرة، ويأمره الرسول أن يشرب، ويشرب، ويشرب، حتى يقول أبو هريرة: واللَّهِ يا رسول اللَّه لا أجد له مكاناً!!

(١) القصة أوردها البخاري في صحيحه، وذكرها الترمذي في سننه.

**إن هذه القصة بحق معجزةٌ لرسول الله ﷺ**، حيث بارك الله في هذا الكأس من الحليب، حتى شرب منه الجميع، وهو يدلُّ أيضاً على شدة ما أصاب الصحابة منَ الفقر والجوع!

**رضي الله عن أبي هُريرة، وأسكنه فسيح جنَّاته، فقد حفظ لنا السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، الأصلَ الثاني من أصول الشريعة الإسلامية الغراء، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجعل مسكنه دار النعيم!**

* * *

# قصة إسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه

## ١٤

(عثمان بن مظعون) صحابيٌ جليل، نَهل من معين النُبوَّة الصافي، ما أثرى حياتَه بالعلم، والتُقى، والصلاح، حتى شهد له الرسول ﷺ بذلك، وأثنى عليه ثناءً عاطراً، فقد كان من خيرة أصحاب النبي ﷺ، وحين توفي (عثمان بنُ مظعون) بكى عليه رسولُ اللَّه ﷺ، وقبَّله ودعا له بالرحمة، والمغفرة، والرضوان.!

أسلم هذا الصحابي (عثمانُ بن مظعون) وكان سببُ إسلامه عجيباً، فقد كان رسولُ اللَّه ﷺ يتوسَّم فيه الصلاحَ والفلاح، وكان يدعوه إلى الإسلام، فلا يقبله ولا يرفضُه، لكونه لم يعلم حقيقة هذا الدين العظيم، وما كان يسمع إلَّا تنفير الناس عنه، وعن الدخول فيه، لأنه يخالف معتقد الآباء والأجداد.!

### سببُ إسلام عثمانَ سماعُ آية

يقول رضي اللَّه عنه وأرضاه: (ما أسلمتُ ابتداءً إلَّا حياءً من رسولِ اللَّه ﷺ، لكثرة ما كان يعرِضُ عليَّ الإسلام ـ يريد أنه دخل في الإسلام حياءً من الرسول لا عن يقين وإيمان، دون أن يستقرَّ في قلبه ـ حتى نزلت الآية الكريمة، فأثَّرتْ في نفسه بالغ التأثير، وهي قوله سبحانه:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] قال: وكنت عنده ﷺ فاستقرَّ الإيمانُ في قلبي).

هذه الآيةُ من الآيات الجامعة المانعة، حيث جمعت في ألفاظ يسيرة بين (أصول الدين، والأخلاق، والآداب، والمعاملات، والتربية، والإصلاح، والتذكير، والتحذير) حتى قال عنها عبد اللَّه بنُ مسعود رضي اللَّه عنه: هذه

أجمعُ آية في القرآن، لخيرٍ يُمتثل، ولشرٍّ يُجتنب، حيث تناولت جميع الفضائل والمكارم.

## قراءة الآية الكريمة على الوليد

**يقول عثمانُ رضي الله عنه:** لمَّا نزلت هذه الآيةُ، قرأتُها على (الوليد بن المغيرة) ـ وكان من أشراف قريش ونبغائها ـ لأرى رأيه فيما يسمع من كلام الله تعالى، فلمَّا قرأتُها عليه، تفكَّر فيها، وقال: يا ابنَ أخي، أعِدْ عليَّ ما سمعتُه منك!؟ قال: فأعدتُ عليه قراءتها، فقال: واللهِ إن هذا الكلام له حلاوة، وما هو بقول بشر[1]!!

**كما يروي الحافظُ بنُ كثير:** أن (أكثمَ بنَ صيفي) حين بَلَغه خروجُ النبي ﷺ أراد أن يهاجر إليه، فمنَعَه قومُه وقالوا: أنت سيِّدُ القوم وكبيرُهم، لا ينبغي أن تذهب إليه، فأرسل رجلين يأتيانه بخبر محمد ﷺ، فلمَّا دخلا عليه قالا له: من أنتَ؟ وما هو أمرك؟ فقال لهم ﷺ: أمَّا من أنا؟ فأنا (محمدُ بن عبدِ اللهِ)، وأمَّا أمري: فأنا عبدُ اللهِ ورسولُه؟

**قالا: هل معك شيء؟** فقرأ عليهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ...﴾ الآية [النحل: ٩٠].

فلمَّا رجعا إلى (أكثمَ) أخبراه بأمر النبي ﷺ، وأنه عظيم في قومه، ذو نسبٍ شريف، وقالا له: قد تلا علينا كلماتٍ، ما سمعنا بمثلهن قطُّ، ثم قرءا عليه الآية، فقال: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ذميمها، فكونوا في هذا الأمر رءوساً، ولا تكونوا أذناباً[2].

أي كونوا من السابقين إلى الدخول في الإسلام، يقتدي بكم الناس، ولا تتأخروا عنه فتصبحوا أتباعاً كالأذناب.!

## حياة عثمان مع زوجه

**كان عثمانُ بنُ مظعون من خيار أصحاب النبي ﷺ**، وقد وظَّف حياتَه في طاعة اللهِ، وطاعةِ رسوله، وأقبل على اللهِ، عابداً، زاهداً، ورعاً، يقوم الليلَ ويصومُ النهار، وقد أعرض عن مباهج الحياة وزينتها.

دخلت امرأة (عثمانَ بن مظعون) ذات يوم على نساء النبي ﷺ، سيِّئة

(١) عن كتاب سمير المؤمنين ص١١٦ لفضيلة الشيخ محمد الحجار.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٩.

الهيئة، رثَّة الثياب، لا تلبس ما تلبسه النساء من ثياب الزينة، فسألوها عن زوجها وعن حالها؟

فقالت: أمَّا زوجي فنهارُه صائم، وليلُه قائم!!

فلما جاء النبيُّ ﷺ أخبروه بقولها، فحزن لحالها ورقَّ لها، فلقي ﷺ (عثمان بنَ مظعون) فعاتَبَه ولامه، وقال له عليه الصلاةُ والسلام: أَمَا لكَ يا عثمانُ بي أُسوة!؟

قال: بَلَى وجعلني اللَّهُ فداءَك!! فنبَّهه ﷺ إلى خطئه، ودعاه إلى الاعتدال في الطاعة والعبادة، وقال له: (إنَّ لبدنك عليك حقاً، ولنفسك عليكَ حقاً، ولزوجك عليك حقاً!!).

فجاءت زوجته بعد ذلك حسنة الهيئة، طيبة الثياب، وقد أعطى الكلامُ ثماره، فأذعن عثمانُ للحقِّ، وتمسَّك بهدي النبي ﷺ، وسار في طريق الاعتدال رضي اللَّه عنه وأرضاه.

## زهدُه رضي اللَّه عنه

رُوي أن (عثمانَ بن مظعون) دخل يوماً المسجد، وعليه كساءٌ، قد تمزَّق، فرَقَعه بقطعةٍ من الكتان، فرقَّ رسولُ اللَّه ﷺ لحاله، ورقَّ أصحابُه لعثمان، فقال لهم ﷺ:

(كيف أنتم يوم يغدو أحدُكم في حُلَّة، ويَرُوح في أخرى؟ وتُوضع بين يديه قصعة، وتُرفع أخرى؟ وسترتم بيوتكم كما تُستر الكعبةُ؟

قالوا: يا رسولَ اللَّه، سيكون حالنا في أحسن حال، ووددنا أن يكون لنا الرخاءُ في العيش، لنتفرَّغ لطاعة اللَّه!!

فقال لهم ﷺ: فإنَّ ذلك لكائن، وأنتم اليومَ خيرٌ من أولئك)[1].

## تقبيلُ النبي ﷺ لعثمانَ بن مظعون

عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت: (رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ قبَّل (عثمانَ بن مظعون) وهو ميِّتٌ، وهو يقول: رَحِمَكَ اللَّهُ يا عثمانُ، ما أصَبْتَ من الدنيا، ولا أصابت منك)[2].

(١) سمير المؤمنين ص١١٧ وذكره أبو نُعيم في الحلية ١/ ١٠٥.

(٢) أخرجه أبو نُعيم في الحلية ١/ ١٠٥ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣/ ٨٧.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ (دخلَ على (عثمان بنِ مظعون) يوم ماتَ، فأحنى عليه ـ أي حنى رأسه عليه ـ كأنه يوصيه، ثم رفع ﷺ رأسه وفي عينيه أثرُ البكاء، وبكى القومُ فقال النبي ﷺ: أذهبَ اللَّهُ عنك الهمَّ والحَزَن أبا السائب، فلقد خرجت من الدنيا ولم تلبَّسْ منها بشيء)[1]. وأبو السائب: كنيةُ (عثمانَ بن مظعون) رضي اللَّه عنه وأرضاه!

## رؤيا سارَّة لأم العلاء

روى الزُّهري عن (خارجة بن زيد) عن أمِّ العلاء، أنها قالت: لمَّا تُوفِّيَ (عثمانُ بن مظعون) في دارنا، رأيتُ في المنام، أن عيناً تجري (لعثمانَ بنِ مظعون) فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقال: ذلكَ عملُه)[2] أي هذا عملُه الصالح مستمر، كأنه عينُ ماءٍ جارية.

## رثاء زوجته له

ورثته زوجتُه عند موته فقالت:

يَا عَيْنُ جُودِي بِمَاءٍ غَيْرِ مَقْطُوعِ ... عَلَى مُصِيبَةِ عثمانَ بنِ مَظْعُونِ

عَلَى امْرِئٍ بَاتَ في رِضْوَانِ خَالِقِهِ ... طُوبَى لَهُ مِنْ فقيدِ الشَّخْصِ مَدْفُونِ

قَدْ أَوْرَثَ القَلْبَ حُزْناً لَا انقطاعَ لَهُ ... حَتَّى المَمَاتِ فَمَا تَرْقَأْ لَهُ عَيْنِي

## ثناء الرسول ﷺ عليه

عن زيد بن أسلمَ رضي اللَّه عنه أنه قال:

(لمَّا هَلَكَ (عثمانُ بن مظعون) أمر رسولُ اللَّه ﷺ بجَهَازه ـ أي تكفينه ـ فلما وُضع في قبره، قالت امرأتُه: هنيئاً لك الجنةَ يا أبا السائب!!

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: وما عِلْمُك بذلك؟ ـ أي من أينَ عرفت أنه من أهل الجنة ـ قالت: يا رسولَ اللَّه، كان يصوم النهارَ، ويُصلِّي الليل!! فقال لها ﷺ:

(بحسبِكِ لو قلتِ: إنه كان يحبُّ اللَّهَ ورسولَه)[3] أي هذه كافية لدخوله جنة الخلد والنعيم، فكيف وهو عابدٌ زاهد، يكثر من الصلاة والصيام!؟

---

(١) أخرجه الطبراني وانظر حياة الصحابة ٢/ ٢١٦.

(٢) سمير المؤمنين ص١١٨.

(٣) سمير المؤمنين ص ١١٩.

## شهادة الرسول ﷺ له بالصلاح

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال:

(لـمَّا تُوفِّي عثمانُ بن مظعون قالت امرأته: يا رسول اللَّه، فارسُك وصاحبُك!!) تعني أنه ماتَ فلا تنسه من صالح دعواتك.

فلمَّا تُوفِّيت السيدة رُقَيَّة بنتُ رسول اللَّه ﷺ قال عليه السلام: (الحقي بسلفنا الصالح «عثمانَ بنِ مظعون»).

وهذه شهادةٌ له من الرسول ﷺ بالتُّقى والصلاح.

## دخولُه في جوار الوليد ثم ردُّ جواره عليه

**لمَّا هاجر المسلمون المستضعفون إلى الحبشة (الهجرة الأولى)** كان أميرهم (عثمانُ بنُ مظعون) وقد مكث هو وأصحابُه بأرض الحبشة، حتى أُنزلتْ (سورةُ النجم) وظنَّ المسلمون أن قريشاً خفَّت وطأتها عليهم، وأنهم سجدوا للَّهِ ربِّ العالمين، فاستبشروا خيراً، وظنوا أنهم يرجعون إلى أوطانهم سالمين غانمين، حيث وصلهم أن قريشاً أسلمَتْ، فرجعوا إلى مكة، وكان (عثمانُ بن مظعون) في جملةٍ من رَجَعَ، ولكنَّ الأمر كان على خلاف ما تصوَّروه، فلم يستطيعوا أن يدخلوا مكة، إلَّا بجوار رجلٍ من المشركين، أو بطريق التسلّل، والاستخفاء ليلاً.

**ودخل (عثمانُ بنُ مظعون) في جوار (الوليد بن المغيرة)** فأخرجه الوليدُ إلى نادي قريش، وهم حول الكعبة يتحدثون، فقال لهم: إن (عثمانَ بنَ مظعون) في جواري، وقد أجَرْتُه اليوم، فلبث عثمانُ آمناً مطمئناً بجوار (الوليد بن المغيرة) وحمايته له.!

**ولمَّا اشتد الأذى على المسلمين بمكة**، ورأى (عثمانُ) ما حلَّ بأصحاب رسولِ اللَّه ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروحُ في أمانٍ من (الوليدِ بنِ المغيرة) حزنَ وتألَّمَ وقال: واللَّهِ إنَّ غُدوِّي ورواحي، آمناً بجوار رجلٍ من أهل الشرك، وإخواني وأهلُ ديني، يلقون من الأذى والبلاء ما يلقون، لنقصٌ كبير في نفسي وفي ديني.!

## ردُّ الجوار على الوليد

**فمشى إلى الوليد وقال له**: لقد وفَّتْ ذِمَّتُك، وأمنتُ على نفسي، ولكنني الآن أردُّ إليك هذا الجوار!

قال: لِمَ يا ابنَ أخي، لعلَّه آذاك أحدٌ من قومي!؟

قال: لا، ولكنني أرضى بجوار اللَّهِ عزَّ وجلَّ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره.!

فقال له الوليد: فانطلقْ إلى المسجد، فاردُدْ عليَّ جواري علانية، كما أجرتُك علانية.!

فانطلقا حتى أتيا المسجدَ الحرام.

فقال لهم الوليد: هذا (عثمانُ) قد جاء يردُّ عليَّ جواري!

فقال لهم عثمان: قد صَدَق، وقد وجدتُه وفيًّا، كريمَ الجوار، ولكنِّي أحببتُ أن لا أستجير بغير اللَّه، فقد رددتُ عليه جواره.

## سماعُه شعر لبيد وردُّه عليه

وكان في المجلس شاعر يسمى (لبيداً) ينشد قريشاً بعض أشعارٍ وهم يستمعون له، فجلس معهم (عثمانُ بن مظعون).

فقال لبيد في شعره وهو يُنشدهم:

(أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ)

فقال له عثمانُ: صدقتَ.

فقال لبيد:

(وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ)

فقال عثمان: كذبتَ، نعيمُ أهل الجنة دائمٌ لا يزول.

فغضب لبيد، وقال: يا معشرَ قريش!! واللَّهِ ما كان يُؤذَى جليسكم، فمتى حَدَثَ هذا فيكم؟

فقام رجل من القوم فقال: إنَّ هذا سفيهٌ، ومعه جماعةٌ من السفهاء، فارقوا دينَنا، فلا تجدَنَّ في نفسك شيئاً منه، فهذا هو شأن السفهاء.!

فردَّ عليه عثمان بنُ مظعون رداً شديداً، حتى تَفَاقم الخلافُ بينهما، واشتدَّ النزاع والخصام.

فقام نحوه ذلك الرجل الفاجر، فلطَم عينه، حتى كاد أن يفقأَها وتورَّمت عينُه.!

## العدوان على عثمانَ بنِ مظعون

وكان (الوليدُ بنُ المغيرة) جالساً يرى ما بلغَ عثمانَ من الأذى، فقال له: أَمَا

واللَّهِ يا ابنَ أخي! إن كانت عينُك عمَّا أصابها لغنية عن هذا، لقد كنتَ في ذمَّةٍ منيعة!!

**فقال له عثمان**: بلَى واللَّهِ، إن عيني الصحيحةَ لفقيرةٌ إلى ما أصاب أختها في اللَّه، وإني لفي جوار من هو أعزُّ منك وأقدر!!

وأنشدَ يقول:

فَإِنْ تَكُ عَيْنِي في رِضَى الرَبِّ نَالَهَا ... يَدَا مُلْحِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمُهْتَدِ

فَقَدْ عَوَّضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ ... وَمَنْ يُرْضِهِ الرَّحْمَنُ لَا شَكَّ يَسْعَدِ

فَإِنِّي وَإِنْ قُلْتُمْ سَفِيهٌ مُضَلَّلٌ ... حَرِيصٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ[1]

## عزة المسلم في سيرة ابن مظعون

هكذا ضرب لنا عثمانُ رضي اللَّه عنه، المثلَ الأعلى في عزة المسلم، واعتزازه وثقته باللَّه، وهو درسٌ بليغ لكل مسلم ومسلمة، أن تكون ثقتُه باللَّه، أعظمَ من جميع الخلق، وأنَّ من كان اللَّه معه، لَم يخش من أحدٍ من البشر، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

هذا ما كان من شأن (عثمانَ بن مظعون) في أمر إسلامه، وفي تحمُّلِه البلاءَ والعذاب لنصرة دين اللَّه، وحُقَّ له دعوةُ رسول اللَّه ﷺ قال: (رحمكَ اللَّه يا عثمانُ، ما أصبت من الدنيا، ولا أصابت منك) وكفى بها وساماً لابنِ مظعون!!

رحمَ اللَّهُ عثمان بنَ مظعون، وأسكنه فسيح جناته، وألحقَنَا به على طريق الهداية والصلاح.!

* * *

(١) انظر سيرة عثمان بن مظعون وكتاب سمير المؤمنين ص ١٢٠.

# قصة إسلام عَمْرِو بن الجموح رضي الله عنه

## ١٥

**هل تدرون من هو (عَمْرُو بنُ الجَمُوح)؟ إنه أحد أبطال الإسلام، وأحدُ أبناء المدينة الكرام!!**

كان (عَمْرو بنُ الجَمُوح) سيداً من سادات أهل المدينة، وشريفاً من أشرافهم، وهو من قبيلة (بني سلمة) وهي قبيلةٌ مشهورة بالمكانة والشرف، والعِزِّ والجاه.

**كان ولده الشابُّ (معاذ) رضي الله عنه**، قد سبقه إلى الدخول في الإسلام، فقد بايعَ رسولَ اللَّه ﷺ (بيعةَ العقبة) مع طائفةٍ من الأنصار، قدموا مكة للحج، والتقوا مع رسول اللَّه ﷺ فعرَضَ عليهم الإسلامَ، ودعاهم إلى اللَّه تعالى، ونصرةِ نبيِّهِ ﷺ، فبايعوا وأسلموا، ورجعوا ينشرون نور الإسلام في المدينة المنوَّرة.

### انتشار الإسلام بين أهل المدينة

**فشا الإسلامُ في المدينة**، ودخل كثير من الأنصار في هذا الدين الجديد، على أيدي هؤلاء المسلمين، الراجعين من مكة، والمبايعين لرسولِ اللَّهِ (بيعةَ العقبة).

**أسلم الشاب المؤمن (معاذُ بنُ جبل) على يد (معاذِ بن الجموح)** الذي كان صاحباً له، وقد أطلعه على محاسن الإسلام، ودعاه إلى أن ينخرط في هذه (الزمرة المؤمنة) ويصبحَ جندياً من جنود الإسلام، يكافح ويناضل عن دين محمد ﷺ، فاستجاب لهذه الدعوة الكريمة، وأعلن إسلامه، وأخذ ينشر هذا الدينَ في أرجاء المدينة المنورة.

### عبادة الأصنام عند المشركين

**روى أبو نُعيم في الدلائل عن ابن إسحاق أنه قال:**

(لمَّا قَدِم الأنصارُ المدينة المنوَّرة، بعدما بايعوا رسولَ اللَّه على الإسلام

والنُّصرة، انتشر الإسلام في المدينة، وظهر فيها ظهوراً عظيماً، وفي الأنصار بقايا على دينهم من أهل الشرك، منهم (عَمْرو بنُ الجموح) وكان ابنه (معاذ) قد شهد العقبة، وبايعَ رسولَ اللَّه ﷺ بها.

وكان (عَمْرو بن الجموح) سيداً من سادات بني سَلَمة، وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً، يُقال له (مَنَاة) يعبده ويتودَّد إليه، كما كان الأشراف يصنعون، يتخذه إلْهاً ويطهِّره ويطيِّبه.

فلمَّا أسلمَ فتيانُ الحيِّ من (بني سلمة) منهم معاذُ بن جبل، ومعاذُ بن الجموح، في فتيان منهم، كانوا يخرجون في الليل، فيلطخون الأصنام بالقذارات والنجاسات، لينبِّهوا أقوامهم على ضلال عبادة هذه الحجارة والأوثان[1].

* * *

(١) انظر كتاب حياة الصحابة ١/١٩١.

# قصة عمرو بن الجموح
# العجيبة مع صنمه

ذكر الحافظُ ابن كثير رحمه الله في تفسيره، هذه القصة العجيبة الغريبة فقال: أسلمَ (معاذُ بنُ جَبَل) وصديقُه (مُعاذُ بنُ عَمْروِ بنِ الجموح) وكانا شابَّين حديثي السنِّ، فلمَّا أسلَمَا كانا يعدوان في الليل، على أصنام المشركين فيكسرانها، ويتَّخذانها حَطَباً للوقود.

قال: وكان لعَمْروِ بن الجموح ـ وهو سيّدُ قومه ـ صنمٌ يعبده ويعظِّمه، ويطيِّبُهُ ويعتني بشأنه، فكان هذان الشابَّان يجيئان في الليل، فينكِّسانه على رأسه إهانةً له، ويلطخانه بالعَذِرة ـ أي بالنجاسة من الإنسان أو الحيوان ـ فيجيء (عمروُ بن الجموح) فيرى هذا المنظر القبيح، الذي صُنِع بإلٰهه، فيتمالكه الغضبُ، فيأخذه ويغسله وينظِّفه، ثم يَلْطَخه بالطِّيب، ويضع إلى جواره سيفاً، **ويقول له مخاطباً**: انتصرْ لنفسك ممن يريد بك السُّوءَ، واضربه بالسيف، ولا تترك أحداً يعتدي عليك!

ثم يعود هذان الشابَّان إلى صنيعهما، كلَّما رأياه قلباه على رأسه، ولَطَخاه بالنجاسة إهانةً له.

## تحطيمه للصنم ورجوعُه إلى رُشده

ويرجع (عَمْرو بنُ الجموح) إلى صنيعه، يأخذ إلٰهه فيغسله ويطيِّبه، ويكرِّر قوله: انتصرْ لنفسك فهذا السيف بجوارك.!

ورجع ذات يوم فلم ير إلٰهه، فأخذ يبحث عنه فلم يجده في مكانه، فقد ذهب به هذان الشابَّان، فربطاه مع كلبٍ ميِّت، ودلَّياه في طرف بئرٍ بعيدة عن الدار، ملوَّثاً بالنَّجس، منكوساً على رأسه، وهو مربوطٌ مع ذلك الكلب الميِّت، ولمَّا عثر على إلٰهه بعد جُهْدٍ جَهيد من البحث، ورآه في هذه الصورة الذليلة، مربوطاً مع كلبٍ ميِّت، شعر بخطئه وضلاله، في عبادة حجرٍ لا يضرُّ ولا ينفع،

ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى، فأخذه وحطَّمه بيده، وعلِمَ أنَّ ما عليه من الدِّين باطلٌ، وأنشد يقول:

تَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلٰهاً مُسْتَدِنْ ... مَا كُنْتَ وَالكَلْبَ جَمِيعاً فِي قَرَنْ[1]

أي لو كنتَ إلٰهاً بحقٍّ، غيرَ ذليل ولا مستعبد، لم تكن مربوطاً بحبلٍ مع هذا الكلب الميِّت!! تبّاً لك من إله!! وكسَّره وحطَّمه.

## إسلام عَمْرو بن الجموح واعتزاله عبادة الأصنام

ثم أسلم رضي الله عنه فحسُنَ إسلامُه، واعتزل عبادة الأصنام، وقُتل يوم أُحدٍ شهيداً.

وذكر ابنُ إسحاق: أن (عَمْروَ بنَ الجموح) حين أسلمَ، وعَرَف عن اللَّه ما عرف، وهو يتذكَّر صنمه، وما أبصرَ من أمره، أخذ يَتشكَّر اللَّهَ الذي أنقذه، ممَّا كان فيه من الضلالة والعَمَى، وأنشد يقول:

أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا مَضَى ... وَأَسْتَنْجِدُ اللَّهَ مِنْ نَارِهِ
فَسُبْحَانَهُ عَدَدَ الخَاطِئِينَ ... وَقَطْرِ السَّمَاءِ وَمِدْرَارِهِ
هَدَانِي وَقَدْ كُنْتُ فِي ظُلْمَةٍ ... حَلِيفَ مَنَاةَ وَأَحْجَارِهِ
فَحَمْداً وَشُكْراً لَهُ مَا بَقِيتُ ... إِلٰهَ الأَنَامِ وَجَبَّارِهِ[2]

## شجاعته وبطولته رضي الله عنه

ذكر علماءُ السِّيرة أن (عَمْروَ بنَ الجموح) كان رجلاً أعرج شديدَ العَرَج، وكان له أولادٌ أربعة كالأسود، يشهدون مع الرسول ﷺ المشاهدَ، ويحضرون معه الغزوات!!

فلمَّا كان (يومُ أُحد) أرادوا حبسَ والدهم عن الخروج، رحمةً به، بسبب ما به من عَرَج، وقالوا له: إن اللَّهَ تعالى قد عَذَرك!!

فأتى (عمرو) رسولَ الله ﷺ وقال له: يا رسول الله، إن أبنائي يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، ويحرموني من أجر الجهاد في سبيل اللَّه، وواللَّهِ إني لأرجو أن أَطَأَ بعرجتي هذه الجنَّةَ!!

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٧٥.
(٢) حياة الصحابة ١/ ١٩٣.

فقال له الرسول الكريم ﷺ: أَمَّا أنتَ فقد عَذَرَكَ اللَّه، فلا جهاد عليك، وقال لأبنائه: دعوه لا تمنعوه، لعلَّ اللَّهَ أن يرزقه الشهادة!!

## خروجه في غزوة أُحُد للقتال مع عَرَجه

فخرج رضي اللَّه عنه مع النبي ﷺ، فقاتل قتالَ الأبطال، حتى وقع شهيداً في تلك الغزوة، ونال الشهادة في سبيل اللَّه، كما كان يتمنَّاها[1]!!

وذكر المؤرخون: أنه لمَّا خرج للجهاد، دعا اللَّه عزَّ وجلَّ فقال: اللهمَّ لا تردَّني إلى بيتي، بعد أن خرجتُ منه مجاهداً في سبيلك، فلما استُشهد حمله أبناؤه على بعير، ليدفنوه في المدينة المنوَّرة، فاستصعب عليهم البعيرُ، فكانوا إذا وجَّهوه إلى كل جهةٍ سَارَعَ، إلَّا جهةَ المدينة، فقد كان يستعصي عليهم، ولم ينجحوا في نقله إلى المدينة، فلمَّا لم يقدروا عليه تذكَّروا قوله: اللهمَّ لا تردَّني إليها بعد أن خرجتُ منها، فدفنوه في مصرعه!

## البدايةُ الحزينة والنهايةُ السعيدة

هذه بدايتُه عبادةُ الحجر، وتلك نهايتُه: الفوزُ برضوان اللَّه ودخولُ جنة النعيم، فقد استجيبت فيه دعوة الرسول الكريم: (دعوه فلعلَّ اللَّهَ أن يرزقه الشهادة في سبيله!!)

رحم اللَّه (عَمْروَ بن الجموح) وأسكنه فسيح جناته، فقد صدقَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فنال الشهادة في سبيله، وفاز بجنات الخلد والنعيم، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* * *

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٨.

# قصة إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه

١٦

## مَنْ هو عديُّ بن حاتم؟ ومن هو والده؟

كان (عديُّ بنُ حاتم) نصرانياً، يدين بدين النصرانية، ووالده هو (حاتم الطائي) المشهور بالجود والكرم، فهو من أسرة معروفة، مشهورة بالكرم، حتى كان يُضرب به المثل، فيقولون: فلان في الجود، يشبه جود (حاتم الطائي) قال الشاعر:

«فِي جُودِ حَاتِم فِي شَجَاعَةِ خَالِدِ»

وكان رضي الله عنه امرأ شريفاً في قومه، ورث العزَّ والشرف عن أبيه، وكان يأخذ (المِرْباعَ) من قومه ـ أي ربعَ ما يصلُ إليهم من الغنائم، فقد كانوا يجعلونه للرئيس فيهم ـ فلما سمع بخبر رسول الله ﷺ ودعوتِه، كره أن يدخل في الإسلام، وترك قومَه، ولحِقَ بنصارى الشام.

## لقاؤه للرسول ﷺ في المدينة المنورة

روى الإمام أحمد عن عديّ بن حاتم أنه قال: (لـمَّا بلغني خروجُ رسول الله ﷺ، كرهتُ خروجه كراهية شديدة ـ أي أبغض الرسول ودينه بغضاً شديداً ـ فخرجتُ حتى قدمت على (قيصر) فكرهت مُقامي في بلاد الروم، أكثرَ من كراهيتي لخروجه ـ أي خروج الرسول ﷺ ـ فقلتُ في نفسي: لو أنني أتيتُ هذا الرجل ـ يعني محمداً ـ فإن كان كاذباً، لم يضرَّني كذبُه، وإن كان ملِكاً لم يخْفَ عليَّ أمره، وإن كان نبياً صادقاً اتَّبعتُه ودخلتُ في دينه!!

قال: فخرجتُ حتى وصلتُ المدينة، فلما رآني الناسُ صرخوا: عَدِيُّ بنُ حاتم، عدِيُّ بن حاتم!! فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو في مسجده، فسلَّمتُ عليه فقال: مَنِ الرجلُ؟ فقلت: عديُّ بنُ حَاتم!

## رسول اللَّه يدعوه إلى الإسلام

فقال لي يا عديُّ: أسلِمْ تسلَم، أسلِمْ تسلَمْ، قالها ثلاثاً!!

قلتُ: إني على دينٍ ـ أي أدينُ بالنصرانية وهو دينٌ سماوي ـ.

قال: أنا أعلمُ بدينك منك!!

قلتُ: أنت أعلمُ بديني منِّي؟

قال: نعم، ألستَ من الرُّكوسية ـ جماعة من النصارى يعبدون النجوم ـ وأنت تأكلُ مرباعَ قومك؟ ـ أي تأخذ من قومك رُبْعَ الغنيمة ـ قلتُ: بلى، قال: هذا لا يحلُّ لك في دينك!!

يقول عديٌّ: فلمَّا قالها تواضعتُ في نفسي ـ أي خجلتُ واستحييتُ منه وقلتُ في نفسي: هذا ليس بملِكٍ إنه يخبر عن علم ـ.

فقال لي رسول اللَّه ﷺ: إني أعلمُ الذي يمنعك من الإسلام!! إنك تقول: إنما يتَّبعه ضعَفَةُ الناس، ومن لا قوة لهم ولا رأي، وقد رمتهم العرب عن قوسٍ واحدة ـ أي تنكَّروا لهذا الدين ـ!!

## الرسولُ يبشِّره بكنوز كسرى

ثم قال لي: أتعرف الحِيرَة يا عديُّ؟ قلت: لم أرها وقد سمعتُ بها!

قال: لئن طالت بك حياة، فوالذي نفسي بيده، لَيُتِمَنَّ اللَّهُ هذا الأمرَ ـ أي ينتشر دينُ الإسلام، ويظهر في أقطار الدنيا ـ حتى تخرج الظعينة ـ يعني المسافرة ـ من الحِيرة، حتى تطوف بالبيت الحرام، في غير جوارِ أحد ـ أي ليس معها مَحْرَمٌ يحميها لوجود الأمان ـ ولئن طالت بكَ الحياةُ، لتفتحنَّ كنوز (كِسرى بن هُرْمز)!!

قلتُ: كنوزُ ابن هُرْمز؟ قال: نعم، كنوزُ كسرى بنِ هرمز!!

ولَيكثُرنَّ المالُ فلا يقبله أحد!! ـ أي من كثرة الغنى والثراء.

قال عديٌّ رضي اللَّه عنه: فهذه الظعينة ـ أي المرأة المسافرة ـ تأتي من الحِيرَة فتطوف بالبيت آمنةً في غير جوار.

ولقد كنتُ فيمن فَتَح كنوز كسرى.

والذي نفسي بيده لتكونَنَّ الثالثة ـ أي الغنى والثراء الفاحش ـ لأن رسول اللَّه ﷺ قد قالها)[1].

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٢١/ ١٠٨ والإصابة للحافظ ابن حجر ٢/ ٤٦١.

# قصةٌ أخرى في إسلام عديٍّ رضي الله عنه

**وفي رواية أخرى رواها ابنُ إسحاق وغيره** أنَّ عديًا قال: (فقدمتُ على رسول اللَّه ﷺ المدينةَ، فدخلتُ عليه وهو في مسجده، فسلَّمتُ عليه، فقال: مَنِ الرجلُ؟ فقلتُ: عديُّ بن حاتم!

فقام رسول اللَّه ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فتناول وسادة من أَدَم ـ أي جلد ـ محشوَّةٍ ليفاً، فقذفها إليَّ **فقال**: اجلسْ على هذه.!

**قلت**: بل أنتَ فاجلسْ عليها.

**قال**: بل أنت!! فجلستُ عليها وجلسَ رسول اللَّه ﷺ على الأرض.

**فقلتُ في نفسي**: واللَّهِ ما هذا بأمر مَلِكٍ.!

**ثم قال**: إيهٍ يا عديَّ بن حاتم، هل تعلم من إلهٍ غير اللَّه؟

**قلت**: لا.! ليس هناك إلهٌ يُعبد غير اللَّه تعالى.!

**ثم قال لي**: يا عديُّ إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين، ما ترى من حاجة أهله! فواللَّه ليوشكنَّ المالُ أن يَفيض فيهم، حتى لا يوجد من يأخذه[١].!

ثم ذكر بقية الأشياء التي أخبر ﷺ عنها وهي: الأمنُ، وفتحُ قصور كسرى.

**قال عدي**: فرأيتُ اثنتين: (الظعينةَ، والفتحَ)، وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلفُ باللَّهِ لتجيئَنَّ الثالثة)[٢].

* * *

(١) صدق رسول اللَّه ﷺ فقد فاض المال عند المسلمين، من الغنائم والفتوحات الإسلامية، فقد بعث (عُمر بنُ عبد العزيز) عاملَه بأموال الزكاة، لتوزيعها على فقراء المسلمين من جهات من أفريقيا، فعاد بها ثانية، لأنه لم يجد من يأخذها، فاشترى بها عبيداً فأعتقهم، وكان عديُّ فيمن فتح كنوز كسرى، فكان ذلك سبب إسلامه وانخلاعه عن مظاهر الأبَّهة والترف التي أسبغها عليه قومه.

(٢) طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام.

# قصة إسلام مُصعب بن عُمير القُرشي رضي الله عنه

## ١٧

## من هو مصعب بن عُمير؟ ومن هو أبوه؟ وإلى أيّ عشيرة ينتسب؟

إنه (مصعبُ بنُ عُمير) القُرَشي، من بني عبد مناف بنِ عبد الدار، كان شاباً وسيماً، جميلَ الشكل والطَّلْعة، من أعزّ شباب قريش، ومن أكثرهم مالاً، وأبهجهم جمالاً، كان أبوه (عُمَير القُرشي) من سادة قريش وأشرافهم، فاكتسب (مصعب) هذا العزَّ والجاه عن طريق أبيه، وعن أسرته وعشيرته.

ومع وسامة (مصعب) رضي اللَّه عنه، وحسنه وجماله، كان مُرَفَّهاً يلبسُ الحُلَلَ، ويتطيَّب بأحسن طيب، وإذا مرَّ بأحد طرقات مكة، فاحَ منه ذلك الطِّيبُ الزكيُّ، فيفتتن به فتياتُ مكة، ويُقبلن نحوه ليرين إشراقةَ وجهه، ويشممن طيب ريحه!

## إسلام مصعب رضي اللَّه عنه

لقد كان (مصعب) رضي اللَّه عنه من أوائل شباب قريش، الذين دخلوا في الإسلام، عن محبة وشوق، وصدقٍ وإخلاص، فلمَّا وصلت إليه دعوةُ الرسول ﷺ، سارع إلى الإيمان به وتصديقه، وخلَعَ عن نفسه، كلَّ مظاهر الحياة البهيجة، ترك الزينة والطيب، والرفاهيةَ والنعيم، وأقبل ينشر الإسلام ويكافح عنه، ويتحمَّلُ في سبيله الأذى والبلاء.!

**حفظ القرآن، وأحسن تلاوته،** وقد بعثه رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة المنوَّرة، ليقرئَ أهلَها القرآنَ، ويعلِّمهم الإسلامَ، ويفقِّههم في الدين، فكان يُسمَّى (مُقْرئَ المدينة) وهو شاب لم يقطعْ زهرةَ الشباب[١].

(١) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص ١١٦.

وفي المدينة المنورة كان (مصعب) رضي الله عنه، يقرئهم القرآن، ويصلِّي بهم، وذلك لأن الأوسَ والخزرج، كان يكره بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ، لما كان بينهم من العداوة والبغضاء، قبل أن يفشو فيهم الإسلامُ، ويتذوّقوا حلاوتَه وطعمه.

## عودة مصعب إلى مكة ومعه بعض الأنصار

كان هذا الأمرُ في أول (بيعة العقبة الأولى) فلما كانت (بيعةُ العقبة الثانية) رجع (مصعب) إلى مكة، وخرج معه من خرج من الأنصار، ليبايعوا رسولَ اللَّه ﷺ على الإسلام والنصرة، والهجرة إلى المدينة المنوَّرة.

قال ابن هشام: ثم إن (مُصْعبَ بن عُمير) رجع إلى مكة، وخَرَج من خَرَج من الأنصار من المسلمين، إلى موسم الحج، مع حجاج قومهم من أهل الشِّرك، حتى قدموا مكة، فوعدهم رسولُ اللَّه ﷺ العقبةَ، حين أراد اللَّهُ بهم ما أراد من كرامته، والنَّصر لنبيِّه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأنصاره!!

## إسلام والد جابر (عبد اللَّه بن حرام)

يقول: ثم خرجنا إلى الحج، وكان معنا (عبدُ اللَّه بنُ حَرَام) والد (جابر بن عبد اللَّه)، وهو سيّدٌ من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنَّا نكتم على من كان معنا من المشركين أمرنا، فكلَّمناهُ وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيِّدٌ من ساداتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنَّا نرغب بك عمَّا أنت فيه، أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بموعدنا مع رسول اللَّه ﷺ بالعقبة، فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً.!

وبقينا تلك الليلة مُسْتَخْفين، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا، فلمَّا جاءنا رسولُ اللَّه ﷺ تلا علينا القرآنَ، ودعانا إلى اللَّه، ورغَّبنا في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه نساءَكم وأبناءكم.!

## البيعة على الموت في سبيل اللَّه

قال عُبادة بنُ الصامت: (بايعنا رسولَ اللَّه ﷺ بيعة الحرب والموت، على السمع والطاعة، في عُسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأَثَرةٍ علينا ـ أي أن نؤثر إخواننا المهاجرين على أنفسنا ـ وأن نقول الحقَّ أينما كنا، لا نخاف في اللَّه لومة لائم)[1].

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١١٩.

هذه هي (الدفعةُ الأولى) من الأنصار، الذين أسلموا على يدي هذا الصحابي الشاب (مصعبِ بنِ عُمير) الذي كان له فضل تعليم أهل المدينة القرآن، ودعوتهم للدخول في دين محمد ﷺ، ومنهم تكوَّنت جماعةُ الأنصار، الذين قال اللَّه عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ . . .﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

## إسلام سعد بن عُبادة

هؤلاء هم السابقون من أهل المدينة، الذين تشكلت منهم (نواة الإسلام) وقد كان في جملة هؤلاء المبايعين (سعدُ بنُ عبادة) رضي اللَّه عنه سيِّدُ الأوس، الذي كان بلَغه مجيءُ (مصعب) إلى المدينة، يدعو إلى دينٍ جديد، فأسرع نحوه يريد أن يفتك به، زعماً منه أنه (صابئ) يريد أن يخالف دينَ الآباء والأجداد!!

فما هو إلَّا أن سمع كلامه، وتلا عليه شيئاً من كتاب اللَّه، حتى ألقى سلاحه، واتخذ له مجلساً بين يديه، معلناً إسلامه، موحِّداً لربه، يتعلم القرآنَ وأحكامَ الإسلام.!

هذا الرجل الشهم كان إسلامه على يد (مصعب بن عمير) فنال السيادة في الأنصار، وقد كان ﷺ يقول: «اللهمَّ اجعلْ صلواتِكَ ورحمتَك على آل سعدِ بنِ عُبَادة».

## باقة عطرة من حياة مصعب

والآن هل تعلمون من هو مصعب بن عُمير؟

إنه ذاك الشابُّ المؤمن، الذي كان أنعمَ غلام بمكة، وأجمل شبابها حُلَّةً وبهاء، فلمَّا دخل الإسلامَ طوى عنه تلك الرفاهية، وذلك النعيم، وانطلق ينشر دعوة الإسلام في مكة والمدينة، مبلِّغاً عن رسول اللَّه ﷺ دعوته، ناشراً لدينه، يتجرَّع في سبيل الدعوة كلَّ شدة، ويستعذب كل عذاب!

يقول عليٌّ رضي اللَّه عنه: (بينا نحن في جماعةٍ من أصحاب رسول اللَّه ﷺ اطَّلع علينا (مصعبُ بن عُمير) رضي اللَّه عنه، في بُردة مرقوعة، فلمَّا رآه رسولُ اللَّه عليه الصلاة والسلام، وذكر ما كان فيه من النعيم، ذرفت عيناه فبكى، وقال لأصحابه: انظروا إلى هذا الذي نوَّر اللَّهُ قلبَه!

لقد رأيتُه بين أبوين، يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيتُ عليه حُلَّة

شراها له أبوه بمائتي درهم، وما فتًى من فتيان قريش مثلُه، ثم خرج من كل ذلك النعيم، ابتغاءَ مرضاة اللَّه، ونُصرةِ رسوله)[١].

## استشهادُ مصعب في غزوة أحد وقصَّةُ تكفينه

كانت نهايةُ هذا الشاب المجاهد، أن نال الشهادة في معركة أحد، وهو يكافح ويدافع عن رسول اللَّه ﷺ، ولمَّا استُشهد لم يجدوا له شيئاً يكفِّنونه به، إلَّا عباءةً صغيرة، كانوا إذا غطَّوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا بها رجليه بدا رأسُه، وذلك لشدة فقره وبؤسه.!

روى البخاري ومسلم عن خبَّاب بن الأرتّ رضي اللَّه عنه أنه قال: (هاجرنا مع رسول اللَّه ﷺ، نلتمسُ وجهَ اللَّه تعالى، فوقع أجرنا على اللَّه ـ أي ثبت لنا الأجرُ والثوابُ على هذه الهجرة ـ فمنَّا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ـ يريد الغنائم التي غنمها المجاهدون ـ منهم (مصعبُ بنُ عُمير) رضي اللَّه عنه، قُتل يوم أُحد ـ أي في غزوة أُحد ـ وتَرَكَ نَمِرة ـ أي كساءً من صوف يشبه العباءة ـ فكنا إذا غطينا بها رأسَه بدتْ رجلاه، وإذا غطَّينا بها رجليه بدا رأسُه، فأمرنا رسولُ اللَّه ﷺ أن نغطِّي رأسَه، ونجعلَ على رجليه شيئاً من الإذخر ـ نبتٌ طيِّبُ الرائحة نستر به رجليه ـ قال: ومنَّا منْ أينعتْ ثمرتُه فهو يهدِبُها)[٢] أي يجتنيها ويقطفها.

رحم اللَّه (مصعب بن عُمير) فقد فتح الأبواب للشباب المسلم، ليدخلوا أبواب الجنان، وليعلِّمهم كيف تكون النصرةُ لدين اللَّه، ليستعيدوا كرامتهم، وينالوا عزتهم التي فقدوها بسبب تقاعسهم عن الجهاد في سبيل اللَّه، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

رحم اللَّه مصعباً رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا به على طريق قافلة شهداء المسلمين!!

* * *

(١) أخرجه الحاكم والترمذي، وانظر كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وانظر شرح رياض الصالحين بتحقيقنا ص١٩٥.

# قصة إسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه

(١٨)

**بعد أن تمّتِ البيعةُ الأولى (بيعة العقبة)** وانتهى موسم الحجِّ سنةَ (١١) من النبوة، أرسل رسولُ اللَّه ﷺ أوّلَ سفيرٍ له، إلى المدينة المنورة، ليعلِّم المسلمين شرائع الإسلام، ويفقِّههم في الدين.

**كان هذا السفير (مُصْعَبَ بنَ عُمَير) الذي ذكرنا قصته، وسردنا سيرته العطرة**، فيما سبق من هذا الكتاب.

وقد كان داعيةً ناجحاً، وممثّلاً حكيماً، يعرف كيف يدخل إلى القلوب، وقد تلقّى دروس الحكمة، في الدعوة والتبليغ عن سيدنا رسولِ اللَّه ﷺ، وتتلمذ على يديه، فقد كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، والمجاهدين في سبيله.!

## نزول مصعب على أسعد بن زرارة

نَزَل (مُصْعب) رضي اللَّه عنه على (أَسْعدِ بنِ زُرَارة) وهو أحد الذين دخلوا في الإسلام، عند (بيعة العقبة) وهو أحد النُّقباءِ الاثني عشر، الذين انتُخبوا ليكونوا كفَلاءَ عن أهل المدينة، في نصرةِ رسولِ اللَّه ﷺ، وتنفيذ بنودِ البيعة المباركة.

**قال ابن إسحاق**: (لمَّا اجتمعوا للبيعة بمكة، قال أحدهم: هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ ـ يعني محمداً ﷺ ـ قالوا: نعم، نبايعه على النُّصرة، وأن نحميَه ممَّا نحمي به نساءَنَا وأبناءنا!!

**فقال لهم**: إنكم تبايعونه على حرب النَّاس، فإن كنتم ترون أنه إن سُلبتْ أموالكُم، وقُتِلَ أشرافُكم، أَسْلمتموه لهم ـ أي لأعدائه كفار مكة ـ فمنَ الآنَ، وهو واللَّهِ خزيُ الدنيا والآخرة.

وإن كنتم وافون له بما بايعتموه عليه، فخذوه، فإنه لكم واللَّهِ عزُّ الدنيا والآخرة!!

**فقالوا:** بل نأخذه على مصيبةِ الأموالِ، وقتلِ الأشراف، وإنَّا لموفون له العَهْدَ والوعدَ.!

**ثم قالوا:** ما لَنَا يا رسولَ اللَّهِ إنْ نحنُ وفَّينا لك بذلك؟

**قال: لكم الجنَّةُ ورضوانُ اللَّه تعالى!**

## مبايعةُ الأنصار للرسول على الإسلام والنُّصرة

**فقالوا:** ابْسُطْ يدَكَ يا رسولَ اللَّه، فبسَطَ يدَه فبايعوه، وكان أولَ هؤلاء المبايعين (أسْعدُ بن زُرارة) فهو أولُ مَنْ وَضَعَ يده في يد رسولِ اللَّه للبيعة، ثم قامَ القومُ رجلاً رجلاً، يبايعُ رسولَ اللَّه ﷺ، على الإسلام والنصرة[١].

**وفي رواية جابر:** قال: فقمنا نبايعُه، فأخذ بيده (أسعدُ بنُ زُرارة) وقال القومُ: واللَّهِ لا نَذَرُ هذه البيعة ولا نستقيلها[٢].

لقد كان (أسعدُ بن زُرارة) أحد النقباء ـ أي الكفلاء ـ من الخزرج، وكان الداعيةَ الأكبر مع (مصعب بن عمير) في المدينة المنورة رضي اللَّه عنهما.

## تعاونهما في نُصْرة الإسلام بالمدينة

ولمَّا وصل (مُصْعب) إلى المدينة، نزل عند (أسعد بن زُرارة) وقام الشابان البطلان، ينشران الإسلامَ، في دور المدينة، بجدٍّ ونشاط، وعزيمةٍ وإخلاص، وكان مصعبُ يُعرف ويُشتهر بين الأنصار (بالمقرئ).!!

**ومن أروع وأبدع ما يُروى من نجاحهما في الدعوة،** أن (أسعدَ بنَ زُرارة) خرج مع (مصعب) يوماً يريد دار (بني عبد الأشهل) فدخلا في بستان، واجتمع عليهما رجالٌ من المسلمينَ يسمعون القرآنَ، وكان (سعدُ بنُ معاذ) و(أُسَيْدُ بنُ حُضَيْر) سيِّدي قوم (بني الأشهل) وهما لم يزالا يومئذٍ على الشرك!!

**فلمَّا سمعا أن أتباعهم اجتمعوا على هذين الرجلين** (مصعب) و(أسعد) وهما يدعوان الناسَ إلى الدخول في الإسلام، ويعلِّمونهم القرآنَ، خافا أن يتأثر بهم جماعةُ (بني الأشهل) فقال (سعدٌ) لأُسَيْد: اذهبْ إلى هذين الرجلين، اللَّذيْن أتيا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.

(٢) رواه أحمد من حديث جابر.

ليفسدا شَبَابنا، ويَذْهبا بعقول ضعفائنا، فازجُرْهما، وانههما عن المجيء لدورنا!!

## أُسَيْدُ بنُ حُضير يريد البطشَ بالداعيَيْن

فأخذ (أُسَيد) حربته، وأقبل نحوهما، غاضباً، فلما رآه (أسعد) قال لمصعب: هذا سيِّدُ قومه قد جاءك، فاصدُقِ اللّهَ فيه!!

فجاء (أُسَيْد) فوقف عليهما متوعِّداً ومهدِّداً يسبُّهما، وقال لهما: ما جاء بكما إلينا؟ تسفِّهانِ ضعفاءنا؟ ـ أي تضحكون على عقول الضعفاء ـ!!

اعتزلانا إن كان لكما بأنفسكما حاجة! ـ أي إن كنتما تريدان السلامة ـ وإلَّا بطشتُ بكما!!

فقال له مصعب رضي الله عنه: أَوَ تجلسُ فتسمعُ ما نتكلَّم به؟ فإن رضيتَ أمراً قبلتَه، وإن كرهتَه كفَفْنا عنك ما تكره!؟ فقال (أُسَيْد): أنصفتَ، ثم ركز حربتَه وجلس!! فكلَّمه (مصعب) وعرَّفه بالإسلام، وتلا عليه القرآن.

يقول مصعب: فواللّه لقد عرفنا في وجهه الإسلام، قبل أن يتكلَّم، وذلكَ في إشراقةِ وجهه، وتهلُّله!! ثم قال: ما أحسنَ هذا وأجمَله؟ وأعلنَ إسلامه!!

ثم قال لهما: إنَّ ورائي رجلاً، إنْ تَبِعَكما لم يتخلَّف عنه أحدٌ من قومه، وسأُرْشِده إليكما الآن، هو (سَعْدُ بنُ مُعَاذ)!! ثم أخذ حربته وانصرف إلى (سعد)، وهو جالسٌ مع قومه في ناديهم!

فقال سعد لما رآه مقبلاً: أحلفُ لكم باللّه، لقد جاءكم (أُسَيْد) بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم!.

فلمَّا وقف (أُسَيْد) على القوم، قال له سعد: ما فعلتَ؟ فأجابه لقد كلَّمتُ الرجلين، فواللّهِ ما رأيتُ بهما بأساً، وقد نهيتُهما، فقالا: نفعل ما أَحْبَبْتَ!!

لم يظهرْ له أنه أسلم، وأراد أن يذهب إليهما (سعدٌ) بنفسه، ويسمع كلامهما، لعلَّه يتأثر كما تأثَّر (أُسَيْد) فيدخل في الإسلام!!

## سعد بن معاذ يغضب ويذهب بنفسه إليهما

نهض (سعدٌ) مغضباً، وأخذ حربته وخرج إليهما، وكان (أسعد) قال لمصعب: جاءك واللّهِ سيّدُ قومه من أهل المدينة، إنْ يَتْبعْكَ لم يتخلَّفْ عنك منهم أحد، فلما وصل (سعد) إليهما، سبَّهما سبًّا شنيعاً، وقال لهما: تغشيانا في دارنا بما نكره، وتفسدانِ شبابَنا، وتضحكان على عقول ضعفائنا؟

فقال مصعب لسعد بن معاذ: هل تقعد فتسمع منا؟ فإن رضيتَ أمراً قبلتَه، وإن كرهتَه عَزَلْنا عنك ما تكره؟ ولا نريدُ أن نسيء إلى أحد!!

قال له سعد: قد أنصفتَ واللَّهِ!! ثم ركز حربتَه فجلس، فعرض عليه (مصعب) دعوة محمد ﷺ، وحدَّثه عن مزايا الإسلام، وقرأ عليه القرآن، وأخبره ببعثة محمد ﷺ، وأخذ يحدِّثه بما جاء به رسولُ اللَّه ﷺ من مُثُلٍ عليا، وبالخير العظيم الذي فيه سعادةُ الإنسان، ويطلعه على محاسن الدين الإسلامي.

يقول مصعب: فعرفنا في وجهه واللَّهِ الإسلام، قبل أن يتكلَّم، في إشراقةِ وجهه وتهلُّله، فقال سعد: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالا له: إذا أردتَ الدخولَ في الإسلام، تغتسل وتُطَهِّر ثوبَك، ثم تشهدُ شهادةَ الحقّ، وتقول: (أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً رسولُ اللَّه) وتصلِّي بعد ذلك ركعتين، فتصبح مسلماً!!

ففعل ذلك كلَّه، ودخل في دين محمد ﷺ. ثم أخذ سعدٌ حربتَه، فأقبل إلى نادي قومه، فلما رأوه، قالوا: نحلفُ باللَّه، لقد رجع (سعدٌ) بغير الوجه الذي ذهب به!!

## سعد بن معاذ يعتنق الإسلام ويدعو قومه إليه

فلمَّا وقف عليهم قال لهم: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيِّدُنا وزعيمُنا، وأفضلُنا رأياً، وأكرمُنا منزلةً!!

فقال لهم: إنَّ كلامَ رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ، حتى تؤمنوا باللَّهِ ورسوله، وتدخلوا في دين الإسلام، فإن محمداً هذا هو ما كانت تحدثنا به اليهودُ، أنه يُبعث نبيٌّ في آخر الزمان، وما أراه إلا محمداً ﷺ!

فما أمسى فيهم رجلٌ ولا امرأة، إلَّا مسلماً ومسلمةً، إلَّا رجلٌ واحد، يُسمَّى (الأُصَيْرِم) تأخَّر إسلامُه إلى يوم أُحُد، فأسلمَ في ذلك اليوم، وقاتلَ المشركين في تلك الغزوة حتى قُتِل، ولم يسجد للَّهِ سجدةً واحدة، فلمَّا أُخبِر النبيُّ ﷺ باستشهاده، قال: (عمِلَ قليلاً، وأُجِرَ كثيراً)[1].

## إسلامُ الأوس ببركة إسلام سعد رضي اللَّه عنه

هذا هو (سعد بن معاذ) سيِّدُ الأوس رضي اللَّه عنه وأرضاه، جاء ليقتلع شجرة الإيمان من قلب (مصعب بن عُمير) ويبطش به وبصديقه (أسعد بن زُرارة)

(١) انظر الرحيق المختوم ص١٧١ وسيرة ابن هشام، وزاد المعاد لابن القيّم.

فما كان منه إلَّا وقد رجع يحمل راية الإيمان والتوحيد، ويعلن لقومه أن كلام رجالهم ونسائهم حرام عليه، حتى يؤمنوا باللَّه ورسوله، ويدخلوا في دين الإسلام، فلم يبق أحد من الأوس إلَّا ودخل في دين محمد، وكان ذلك ببركة إسلام (سعد) رضي اللَّه عنه وأرضاه، وجعل الجنة مستقرَّه ومثواه!

## اهتزاز العرش لموت سعد رضي اللَّه عنه

هذا الصحابي الجليل، المؤمنُ الصادقُ الصابر (سعد بن معاذ) سيِّد الأوس، الذي اهتزَّ عند موته عرشُ الرحمن، كما قال سيِّدُ الخلق ﷺ: (اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذ)[١] أي اهتزَّ العرشُ فرحاً بقدوم روحه الطاهرة، وهذه شهادة عظيمة من رسول اللَّه ﷺ، بعلو مقامه، ورفعةِ شأنه.

لقد كان إسلامُ الأوس ـ وهي قبيلةٌ عظيمة في المدينة ـ رئيسها وزعيمها (سعد بن معاذ) بعد أن دخل فيه زعيمها، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يعرف (لسعد) رضي اللَّه عنه قدرَه، فحين أُهديتْ للرسولِ حُلَّةُ حرير، جَعَلَ أصحابُه الكرامُ يلمسونها، ويعجبون من لينها! فقال لهم المصطفى ﷺ: (أَتَعْجبونَ من لين هذهِ ـ أي الحُلَّة ـ لمناديلُ (سَعْدِ بنِ مُعاذ) في الجنة، خير منها وألين)[٢].

## حكم سعد في يهود بني قريظة

كان بين رسول اللَّه ﷺ وبين يهود (بني قريظة) عهدٌ وميثاق، على أنْ لا يُعِينوا أحداً عليه، ويعيشوا آمنين في دورهم، القريبة من المدينة المنورة، ولكنَّ اليهود اللعناء، نقضوا العهدَ مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة الخندق ـ وهي المعروفة بغزوة الأحزاب ـ واتفقوا مع المشركين من كفار مكة، على حرب الرسول ﷺ والمسلمين، فلمَّا ردَّ اللَّه كيد أعداء اللَّه المشركين، ونَصَر رسولَه عليهم، نزلَ عليه جبريل يأمره أن يخرج إلى (بني قريظة) ويقاتلهم.

تقول السيدة عائشة رضي اللَّه عنها: (لمَّا رجع رسولُ اللَّه ﷺ من الخندق، ووضع السِّلاحَ واغتسلَ، أتاه جبريلُ عليه السلام، فقال: يا محمد، قد وضعتَ السِّلاحَ!؟ واللَّهِ ما وضعتُه أنا، اخرجْ إليهم، فإنَّ اللَّه يأمرك بذلك.!

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس ٤/ ٣١.

ـ وأشار إلى بني قُريظة ـ فخرج النبيُّ ﷺ إليهم، وقال لأصحابه: (لا يُصَلينَّ أحدٌ منكم العصرَ، إلَّا في بني قريظة)[١].

## نزول بني قريظة على حكم سعد

حاصر رسولُ اللَّه ﷺ يهودَ (بني قُرَيظة) حصاراً شديداً، فوافقوا أن ينزلوا على حكم (سعدِ بنِ معاذ) وكان بينهم وبين (سعد) في الجاهلية ـ قبل الإسلام ـ تناصرٌ وتعاون، وقد حاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة، وهم خائفون مختفون في حصونهم، حتى رضوا أن ينزلوا على حكم (سعد بن معاذ) فأرسل النبيُّ ﷺ إلى (سعد) فقدم راكباً على حمار، فلما دنا من المسجد، قال ﷺ للأنصار: (قوموا إلى سيِّدكم وإلى خيركم) فقاموا له، ونزَلَ فجلس، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: إن هؤلاء نزلوا على حكمك، فاحكمْ فيهم بما ترى!؟

فقال سعد رضي الله عنه: إني أحكم بأن تُقتل فيهم المقاتلةُ ـ أي الرجال المحاربون ـ وأن تُسبَى النساءُ والذريَّةُ ـ أي يقعون أسرى وعبيداً في السبي ـ وأن تُقسمَ أموالُهم!! فقال له المصطفى ﷺ: (لقد حكمتَ فيهم بحكم اللَّه أو بحكم الملِك)[٢].

## رواية البخاري حول قصة سعد رضي اللَّه عنه

يروي لنا الإمام البخاري رحمه اللَّه قصة (سعد) رضي اللَّه عنه فيقول: (أُصيبَ سعدٌ يوم الخندق، رماهُ رجلٌ من قريش في الأكحل، فضرب النبي خيمةً في المسجد، ليعوده من قريب، ولمّا نزل أهلُ قريظة على حكم (سعد) قال النبي ﷺ له: هؤلاء نزلوا على حكمك!! فقال سعدٌ: إنِّي أحكمُ فيهم أن تُقْتَل المقاتِلةُ، وأن تُسبَى النِّساءُ والذُّرِّيةُ، وأن تُقْسم أموالُهم ـ أي تصبح غنيمة للمسلمين ـ!! فقال النبي ﷺ: قضيت بحكم اللَّه عزَّ وجلَّ!!

قال الراوي هشام: فأخبرني أبي عن عائشة رضي اللَّه عنها، أن سعداً قال: اللهمَّ إنك تعلم، أنه ليس أحدٌ أحبَّ أن أجاهدهم فيك، من قوم كذَّبوا رسولك، وأخرجوه ـ يريد كفار مكة ـ اللهمَّ فإن كان بقيَ من حرب قريشٌ شيءٌ، فأبقني له حتى أجاهدهم فيك!! وإن كنتَ وضعتَ الحربَ، فافجرها ـ أي الجراحة ـ واجعل

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٤/ ٣٤.
(٢) انظر قصتهم في صحيح البخاري ٤/ ٣٥.

موتي فيها! فانفجرت فلم يَرُعْهُم ـ أي لم يشعروا ـ إلا الدَّم يسيل إلى الخيمة، فإذا (سعدٌ) يغزو جرحه دَماً، فمات منها رضي اللَّه عنه)[1].

## عزمٌ وحزم من سعد رضي اللَّه عنه

رحم اللَّهُ سعداً، فإنه لم تأخذه في اللَّه لومةُ لائم، ولم تدركه الشفقة على أعوانه وأنصاره، الذين كانوا حِلْفاً معه ضدَّ المحاربين له قبل الإسلام، وهم يهود (بني قريظة) مع أنهم ارتضوا حكمه، ظناً منهم أنه سيقف إلى جانبهم، ويخفِّف عنهم الجزاء، ولكنه لصدق إيمانه، حَكَمَ بالحكم العادل، الذي وافقَ حكم اللَّه عزَّ وجل، في الخائن الناقض للعهد، وهو قتل المحاربين من الرجال، وسبيُ الأموال والأولاد، وهذا هو شأن المؤمن الصادق، لا يحابي ولا يداري أحداً خان اللَّه ورسوله، حتى ولو كان له قريباً أو حبيباً، تنفيذاً لقول الحقِّ جل وعلا: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

هكذا كانت سيرةُ (سعدِ بنِ معاذ) العطرة، تقف شامخةً على قِمَّة المجد، بعزة الدين الذي اعتنقه (دين الإسلام) بعد أن ذاق حلاوتَه، وأصبح أحدَ جنود هذه الدعوة المباركة، بل أحدَ أركانها ودعائمها، يذود عنها بكل جهده وطاقته، ويقف بصلابةٍ في وجه أعداء الإسلام، وله قصة مع صديقه الحميم (أُميَّة بن خَلَف) سنذكرها الآن إن شاء اللَّه تعالى، لتظهر لنا صلابتُه في الدين، واعتزازه به في وجه الطغاة من أهل مكة.

---

(١) صحيح البخاري باب غزوة الخندق هي الأحزاب ٣/ ٣٥.

# قصة سعد رضي الله عنه مع الطاغية أمية بن خلف

وله قصة غريبة مع أحد فراعنة قريش، وهو (أُميةُ بنُ خَلَف) الذي كان رمز الكفر والطغيان، فقد روى الإمامُ البخاري عن ابن مسعود، أنه حدَّث عن (سعد بن معاذ) فقال: كان (سعد) صديقاً لأميةَ بنِ خلف، وكان (أميةُ)، إذا مرَّ بالمدينة، نزل على (سعدٍ) وكان (سعدٌ)، إذا مرَّ بمكة، نزل على (أمية) فلمّا قدم رسولُ اللّه ﷺ المدينةَ، انطلقَ (سعدٌ) معتمراً، فنزل على أمية بمكة!.

فقال لأمية: انظر لي ساعةَ خلوة ـ أي عن أعين أهل مكة ـ لعلّي أن أطوفَ بالبيت.. فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما (أبو جهل) فقال: يا أبا صَفْوانَ (وهي كنيةُ أميَّةَ): من هذا الذي معك؟ قال: هذا (سَعْدٌ)!!

## أبو جهل يهدّد ويتوعّد سعداً

فقال له أبو جهل: أراكَ تطوف بمكةَ آمناً، وقد آويتم الصُّباةَ ـ أي المارقين من ديننا ـ وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم!!

أما واللّهِ لولا أنك مع (أبي صفوان) ما رجعتَ إلى أهلك سالماً!

فقال له (سعد) ورفع صوته على أبي جهل: أَمَا واللّهِ لو منعتني هذا ـ أي الطوافَ ـ لأمنعنَّك ما هو أشدُّ عليك منه، طريقك إلى المدينة!؟

فقال له أمية: لا ترفَعْ صوتَك يا سعدُ على أبي الحَكم ـ يريد أبا جهل ـ سيِّد أهلِ الوادي!!

فقال له سعد: دَعْنا عنك يا أُمَيَّة، فواللّهِ لقد سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: إنهم قَاتِلوك!!

قال له: بمكة؟ قال: لا أدري؟ ففزع لذلك (أميةُ) فزعاً شديداً!.

## أمية بن خلف يتخوّف من خبر مقتله

فلمّا رجع أميةُ إلى أهله، قال لزوجه: يا أمَّ صفوان، ألَمْ تَرَيْ ما قال لي

سَعْد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زَعمَ أن محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري!!

فقال أمية: واللَّهِ لا أخرجُ من مكة أبداً.

فلمَّا كان يومُ بدر، استنفَرَ أبو جهل النَّاسَ، وقال لهم: أدركوا عِيرَكم - يعني التجارة - فكره أميةُ أن يخرج!!

فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان! إنك متى رآك الناسُ قد تخلَّفتَ، وأنتَ سيِّدُ أهلِ الوادي، تخلَّفوا معك!!

فلم يزل به (أبو جهل) حتى قال له: أمَّا إذْ غَلَبتني على الخروج، فواللَّهِ لأشترينَّ أجودَ بعير بمكة!

## أُميَّة يتجهَّز للخروج لغزوة بدر

ثم قال أمية: يا أمَّ صفوان جهِّزيني!! فقالت له: يا أبا صفوان هل نسيتَ ما قال لك أخوك اليثربيُّ؟ - تعني سعداً - فقال لها: ما أريد أن أذهب معهم إلَّا قريباً ثم أرجع!! فلمَّا خرج أمية، جعل لا ينزل منزلاً إلَّا عَقَل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله اللَّه عزَّ وجلَّ ببدر)[1].

هذا هو (سعد بن معاذ) سيِّد الأوس، الذي استبشرت بقدومه ملائكةُ السَّماء، واهتزَّ له عرش الرحمن، كما أخبر عنه سيِّد ولد عدنان محمد ﷺ، وهذه سيرته العطرة تفوح بالمسك والعنبر، وهو الذي قال لقومه حين أسلَمَ: (إنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام، حتى تؤمنوا باللَّه ورسوله، وتدخلوا في دين محمد).

رحمَ اللَّه سعداً، وأسكنه فسيح جنته! وجعله في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر.!

* * *

(١) رواه البخاري في المغازي ٢/٣ باب ذكر النبي ﷺ من يُقتل ببدر.

# قصة إسلام أبي دجانة رضي الله عنه[1]

## ١٩

## من هو أبو دُجانة وما هو اسمه الحقيقي؟ إنه (سِمَاكُ بنُ خَرَشة) أحد أبطال المسلمين المغاوير!!

أسلمَ (أبو دجانة) رضي اللَّه عنه، وكان من الأبطال الشجعان، الذين أظهروا كل شجاعة وبسالة، في قتال أعداء اللَّه، وقد أبلى بلاءً حسناً في (غزوة أُحُد) وظهرت منه شجاعة خارقة في هذه الغزوة.

**أمسكَ النبيُّ ﷺ بسيفٍ ذاتَ مرَّة، وقال لأصحابه**: من يأخذ هذا السيف بحقه ـ أي يقاتلُ به حتى ينال الشهادة في سبيل اللَّه ـ وكان ذلك في (غزوة أُحُد) فأقبل (أبو دجانة) مسرعاً، وقال: أنا يا رسول اللَّه آخذُه بحقه!! فأعطاه إيَّاه، فأخرج (أبو دُجانةَ) عِصَابةً حمراءَ، فعصَبَ بها رأسه ـ وكان هذا شأن من يريد أن يقاتل حتى الموت ـ ثم راح يتبختر بين الصفوف، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: إنَّ هذه لمشيةٌ يبغضها اللَّهُ إلَّا في مثل هذا الموقف.!

### تبختر أبي دجانة أمام الأعداء

**ما أنكر عليه رسولُ اللَّه ﷺ هذا (التبختر)** لأنه ليس من الكِبْر، الذي حرَّمه اللَّه بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] بل هو إظهارٌ لعزة المسلم أمام الأعداء، واستهانةٌ بالموت في سبيل اللَّه، لإدخال الخوف والفزع على قلوب الكفرة، المعادين لدين اللَّه! ومِثْلُ هذا لا يدخل في الكِبْرِ المحرَّم، لأنَّ غَرَضَه الافتخار بعزة الإسلام على أعدائه، ولهذا قال النبي ﷺ: (إنها لمشيةٌ يبغضها اللَّهُ إلَّا في مثل هذا الموضع).

ثم هي معنى من معاني (الحرب النفسية) التي ينبغي ألَّا تغيب عن فكر المجاهد

---

(١) أبو دُجانة هو البطل المغوار، وسيف الله المسلول على الكفار، اسمه (سِمَاكُ بنُ خَرشَةَ) كان إذا عَصَب رأسه بعصابة قال الناس عنه: أخرج أبو دجانة عصابة الموت.

المسلم، فإنَّ الأعداءَ إذا رأوا الشخص مقبلاً نحوهم، بهيئةٍ تُوحِي بالرغبةِ في الموت، فَزِعوا منه، وولَّوْا أمامه مدبرين، والحربُ خُدعةٌ، وأساليبُ النصر فيها متنوعة.!

## من كان حامل اللواءِ في غزوة أحد؟

كان الرسولُ ﷺ قد أعطى اللِّواء (مُصْعَبَ بنَ عُمَير) رضي اللَّه عنه، وراحَ المسلمون يحصدون المشركينَ في شجاعة مُذْهلة، وكان في مقدمة المقاتلين الشجعان، بطلان هما: (أبو دُجَانةَ) و(حمزةُ بنُ عبد المطلب) عمُّ النبي ﷺ، المسمَّى (أسدَ اللَّه) و(أسَدَ رسوله).

## استشهاد مصعب بن عُمير بأحد

وفي هذه المعركة قُتل (مصعبُ بنُ عُمير) حاملُ اللواء، فأخذ اللِّواءَ (عليُّ بنُ أبي طالب) وما هي إلا سُويعاتٌ معدودة، حتى أنزل اللَّهُ نصرَه على المسلمين، وانكشفَ المشركون منهزمين، لا يَلْوُون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل والثبور، وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون.

أمَّا الذين كانوا يقودون المعركة ضدَّ المسلمين، فقد كان على ميمنتهم (خالدُ بنُ الوليد) وعلى ميسرتهم (عِكْرمةُ بنُ أبي جهل) قبل إسلامهما.

ولمَّا انهزم المشركون في المعركة، فرَّ (خالد) و(عكرمة)، وكان رسولُ اللَّه ﷺ، قد وضع على الجبل خلف المسلمين، خمسين رامياً، وأوصاهم ألَّا يبارحوا أماكنهم، سواء انتصر المسلمون أم هُزموا، وقال لهم: اثْبتُوا على أماكنكم، واحْمُوا ظهورَنا، ولا تبارحوا أماكنكم، حتى ولو رأيتمونا اختطفتنا الطَّيْرُ!!

## مخالفة الرماة لأمر الرسول ﷺ

ولكنَّ بعض الرُّماة خالفوا الأمر، فنزلوا يجمعون الغنائم، ظناً منهم أنَّ المعركةَ قد انتهتْ، ووضعت الحربُ أوزارها، ولمَّا رأى (خالدُ بن الوليد) خَلَاءَ الجبل من المسلمين، كرَّ راجعاً بالخيل من جهة الجبل، وتبعَهُ (عكرمةُ) وجاء البلاءُ على المسلمين، من خلف ظهورهم، فانقلب النصرُ إلى هزيمة، بسبب مخالفتهم أمر الرسول ﷺ.

أثناء ذلك أشاع المشركون أن محمداً قد قُتل، وكانت هذه الإشاعةُ من أشدِّ ما أدخلَ الرعبَ على قلوب المسلمين، حتى قال بعض ضعفاء الإيمان: ما فائدةُ مُقَامنا هنا، إنْ كان قد قُتل الرسول؟

## موقفٌ مشرِّف لأنس بن النَّضر

**وهنا ظهر صدقُ الإيمان**، فقال أنسُ بنُ النضر ـ وهو عمُّ أنس بن مالك ـ: بل ما فائدةُ الحياةِ بعد الرسول ﷺ؟ فقاتِلُوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم انطلق فشدَّ بسيفه على المشركين، ودخل قلبَ الأعداء، فقتَلَ منهم عدداً، ثم قُتل شهيداً، وفيه نزل قولُ اللَّه عزَّ وجلَّ مشيداً بإيمانه وصدقه: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾! [الأحزاب: ٢٣].

## مظهر رائع للتضحية والفداء

وفي هذه الأثناء، تجلَّى مظهرٌ رائع للتضحية والفداء، ممن كانوا حول رسول اللَّه ﷺ من الصحابة، فراحوا يقدِّمون أرواحهم رخيصةً دون رسول اللَّه ﷺ، حتى قُتل معظمهم.

**روى البخاري في صحيحه** (أنه لمَّا كان يوم أُحُد، انهزم الناسُ عن النبيِّ ﷺ، و(أبو طلحة) بين يدي النبيِّ ﷺ، وقد تترَّس بنفسه عليه ـ أي جعل نفسَه كالتُّرس، يحميه ويحفظُه من السهام ـ وكان (أبو طلحة) رجلاً رامياً، شديدَ النَّزع، كسَرَ يومئذٍ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمرُّ بجَعْبةٍ من النَّبل ـ أي فيها السهامُ ـ فيقول له ﷺ: انثُرْها لأبي طلحة، ويرتفعُ النبيُّ ﷺ قليلاً، ينظر إلى القوم، فيقول له أبو طلحةَ: (بأبي أنتَ وأمِّي يا رسولَ اللَّهِ!! لا تُشْرِفْ ـ أي لا تُظهر نفسك للكفار ـ لئلا يصيبَكَ سهمٌ من سهام القوم، نَحْري دون نَحْرك)[1] أي عُنقي دون عنقك، يريد أن يفدي رسولَ اللَّه ﷺ بحياته ونفسه.

**وروى البخاريُّ أيضاً عن قيس قال**: (رأيتُ يدَ طلحةَ شلَّاءَ، وقَى بها النبيَّ ﷺ، يوم أُحُد)[2].

## فداء الصحابة للرسول ﷺ

**ومظهر آخر رائع من مظاهر التضحية والفداء**، أن الذي نتحدث عنه (أبو دُجانةَ) رضي اللَّه عنه، الذي شهد هذه الغزوة مع رسول اللَّه ﷺ، جعل نفسه فداءً لرسول اللَّه ﷺ فتترَّس عليه، والنبلُ يتلاحقُ في ظهره، وهو منحنٍ على رسول اللَّه ﷺ لا يتركه ولا يتحوَّل عنه، وظهرت المحبة الصادقة لرسول اللَّه ﷺ من عددٍ من الصحابة، كلُّهم يفدي رسول اللَّه بنفسه وروحه، حتى قُتل منهم خمسة، وكان

(١) و (٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٣.

آخرهم ـ على ما ذكر ابنُ هشام ـ (عُمارةُ بنُ السَّكن) قاتلَ دون النبي ﷺ حتى أثبتته الجراحُ، ووقع على الأرض، فقال النبيُّ ﷺ: قرِّبوه منّي، فوسَّده على قدمه، فمات وخدُّه على قدم رسول اللَّه ﷺ.

**أمَّا (أبو دجانة) فقد قاتل في أُحُد قتال الأبطال**، فلم يلقَ في طريقه أحداً من المشركين، إلَّا فرَاه بحدِّ سيفه، لأنه كان قد عاهدَ الرسولَ ﷺ أن يأخذ منه السيف بحقِّه، وحقُّه أن يفريَ به الأعداءَ، ويعتزل بسيفه دم النساء.

## الرسولُ ﷺ يعرِضُ سيفه على الصحابة

**روى ابن هشام والحاكم عن الزبير رضي اللَّه عنه أنه قال:** (عَرَض رسولُ اللَّه ﷺ سيفاً يوم أُحُد، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقمتُ فقلتُ: أنا يا رسولَ اللَّه!! فأعرضَ عني!

**ثم قال ﷺ**: من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟ فقام أبو دُجانة ـ سِمَاكُ بنُ خَرَشَة ـ فقال: أنا آخُذه يا رسول اللَّه بحقِّه، فأخبرْني ما هو حقُّه؟ **قال**: أن لا تقتل به مسلماً، ولا تفرَّ به عن كافر ـ أي تنهزم أمامه ـ فدفعه إليه، وكان إذا أراد القتالَ، وضع على رأسه عصابةً، فقلتُ: لأنظرنَّ اليومَ كيف يصنع؟ فجعل لا يلقى أحداً إلَّا قتَله وفرَاه، وكان رجلٌ من المشركين، لا يَدَعُ لنا جريحاً إلَّا أجهَزَ عليه ـ أي قضى عليه ـ فالتقى به (أبو دجانة) فضربه فقتَلَه.

**وكان (أبو دجانة) إذا عصبَ رأسه قالت الأنصارُ**: أخرجَ أبو دجانة (عصابةَ الموت) وخرج ذاتَ يوم وهو يقول:

أَنَـا الَّـذِي عَـاهَـدَنِـي خَـلِـيـلِـي ... وَنَـحْـنُ بَـالـسَّـفْـح لَـدَى الـنَّـخِـيـلِ

أَنْ لَا أَقُـومَ الـدَّهْـرَ فِـي الأَخِـيـرِ ... أَضْـرِبْ بِـسَـيْـفِ الـلَّـهِ وَالـرَّسُـولِ

هذا هو (أبو دجانة) صاحبُ العصابة الحمراء، الذي قطع بسيفه البتَّار، رؤوس الكفرة الفجار، وكان سيفاً من سيوف اللَّه المسْلُولة على الأعداء.

رحمَ اللَّهُ (أبا دجانة) وأسكنه فسيحَ جناته، فقد نصرَ الإسلامَ ببطولته، وحمى الرسولَ بروحه وجسده، حتى لقيَ ربَّه شهيداً، وهنيئاً له ما ناله من الفوز بدار النعيم وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾! [النساء: ٦٩].

* * *